الباب الثانى

obeikandl.com

obeikandl.com

الـــولـــى

من هو الولى الحـقـيـقى وعـلامـاته وصـفـاته وأسـرار الأولـيـاء وشـروط وكرامات الأولياء؟

بداية : لا أقول غـاب ولكن التبس على كـثـيـر من الناس وبالذات فى أيامنا هذه فهم ومعرفة من هو الولى الحقيقى وأصبحت الفرصة سانحة للشـيطان عليـه لعنة الله لِيَـجِـدَّ فى عـمله ويعطل الأفـهـام ويشـوش على الأفكار بكـثـرة الخـوض فى هـذا الموضـوع الذى اتخـذه بحـراً ينصب فـيـه شـبـاكه ومطيـة يحـمل عليـهـا عـتاده فـيـزين للناس أشـيـاء باطلة فى صـورة حـسـنة ويذم للناس الحق فـيـجـتنبـوه وتمكن بالفـعل من التلبـيـس على الكثيرين حتى أساءوا فهم ومعرفة من هو الولى الحقيقى وصيرلهم الأمر أمر جدل واختلاف مع أن القضية بَيِّنَة والأمر واضح كالشمس فى كبد النهار لا يحتـاج إلى مـثـقـال ذرة من جـدال واخـتـلاف ولكن هى خطة الشـيطان اللعين للتضليل عن سبيل الله وسنة رسوله وتعطيله للأفهام لذا قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البـقـرة : ١٦٨]. وظن بعض الناس أن الولى الحـقـيـقى ليس من أبناء هذا العصر ولا يوجد فى أى مصر من أمصار هذا الزمان وإنما كان الأولياء الحقيقيون فى الزمن الأول وفى صدر الإسلام الأول وهم الصحابة فقط أو السلف وأما الآن ليس هناك وليٌّ حقيقيٌّ من أولياء الله الصالحين الذين هم لا خوف عليهم ولاهم يحزنون،

لان الكل مذنبون ومقصرون وأن الواحد منهم مهما عمل من الصالحات وتفانى فى القربات فلن ينال درجة الولى وهذا مفهوم خاطئ لا يوخذ به لانه مفقود الحجة والدليل لأن القول بهذا الكلام لم يطلع على اللوح المحفوظ فيتعرف على أمور الغيب. ثم يأتينا بالخبر اليقين فى هذا الموضوع، ولم يكشف أحد عن قلوب الناس ليعرف أنهم مذنبون مقصرون وأنهم غير أولياء الله.

ومنهم من زعم أن الولى الحقيقى ليس إلا من بنى له مقامًا مرموقًا، وشيد له ضريحًا شامخًا ليذهب الناس إليه فيتبركون به ويطوفون حوله ويعكفون على قبره رجاء الغوث به أو كشف البلايا وجلب المنافع ونحن نقول لهؤلاء أن هذا المقبور إن يكن وليًا حقًا فإنما نفع بولايته نفسه وخلصها من العذاب الأليم وقبضة الله لثوابه وأما عن التبرك والتمسح والطواف والنذر له من دون الله فلن ينفع ولن يفيد لأن النافع ينفع يوم القيامة نفسه «ولا تزر وزارة وزر أخرى» ويوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأما إن كان هذا المقبور غير ولى -كان عاصيًا أو سفيها- فالمصيبة أكبر لأن الذى يدعوه أو يستجلب منه نفعًا أو ضرًا يصبح مغبون فى أمره إذ أنه يدعو رجلاً ضالاً مقيمًا فى العذاب ولله در القائل:

كم من قباب تزار وأصحابها فى النار

ومنهم من قال أن الولى الحقيقى قد يكون شخصًا موجودًا بين الناس ويعرفونه ويعرفهم ويكون عاقًا أو مسرفًا أو فاجرًا وقد يكون وليًا لأن ولايته سرًا بينه وبين الله تعالى ونسوا أن سوء خلق هذا يقدح فى ولايته.

ومنهم من أفدح فيه القول فقالوا إن الولى الحقيقى لا يشترط فيه أن يكون مصليًا أو صوامًا أو قوامًا وربما يكون تاركًا للصلاة ولا يعرف قبله المسلمين ولا يصوم ولا يقدم شيئًا من أركان الإسلام ولا أعمال البر ورغم ذلك فهو ولى من أولياء الله الصالحين وإذا سألتهم كيف؟ سرعان ما تسمع الإجابة حاضرة على الألسنة بالافتراء على الله فيقولون إنه لا يصلى فى دنياكم هذه ولا يصوم فيها ولا يتعبد فيها وإذا قلت لهم إذا فاين يصلى؟ وفى أى دنيا أخرى يتعبد؟ لقالوا لك: إنه قد يكون يصلى فى كوكب آخر وعالم آخر غير عالم الأشباح هذا يصلى فى عالم نورانى غيبى علوى، أما الصلاة فى هذا العالم فهى لا تليق لمثل هذا الولى لأنه عالم نَجَّسَهُ البشر بالذنوب وربما قالوا لك إنه لا يصلى ولا يصوم ولا يزكى ولا يحج لأنه قد رفع عنه التكليف وأذهب الله عنه مئونة العبادة وإذا قلت لهم كيف ولماذا؟ لقالوا: لأنه قد (حقت) فيه هذه الآية ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجرات: ٩٩] وهذا الولى قد وصل إلى درجة اليقين وهذه هى درجة رفع التكليف ومؤونة العبادة فلا عبادة عليه. ولا ندرى أو ليهم هذا هو على ملة أهدى من ملة محمد ﷺ؟ أم أنه إفتراء على الله وكذب؟ والثانية هى الحقيقة. وغير ذلك كثير جداً من الكلام والكذب والافتراء الذى تابى أن تسمعه الآذان وتتأذى من سماعه وتأباه أيضًا القلوب المؤمنة وتأباه الفطر السليمة الصحيحة ويأباه أيضًا العقل الذكى المتفكر وتراهم يقولون الكلام على أمزجتهم ويفسرون آى القرآن حسب ما تمليه عليهم أهواؤهم وتوحيه شياطينهم حتى قالوا عن اليقين المقصود فى الآية السابقة هى

درجة الوصول لرفع التكليف وعلم القلم وفسروها على ما يروق لهم هم ونسوا أن المقصود بها الموت ويشهد الله على ما فى قلوبهم وهو ألد الخصام ويشهد الله أن ذلك الإفتراء ما يراد به إلا هدم الإسلام فهم قوم للإسلام هدامون والإسلام منهم براء بشركهم وزيفهم وافتراءاتهم فنسأل الله تعالى صالح الأحوال لنا جميعًا أمين..

obeikandl.com

الفصل الأول

من هو الولى الحقيقى

قال الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ولم يقل سبحانه الله ولى الذين أتاهم درجة اليقين أو ولى من رفع عنهم التكليف ومشقة العبادة ولم يقل الله ولى أصحاب المقامات والاضرحة وإنما قا:ل ﴿وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٣].

وقال فى الحديث القدسى المبارك رواه البخارى وأبو نعيم فى الحلية والبغوى وذكره الألبانى فى السلسلة أن الله تبارك وتعالى قال: «من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها. ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن قبض عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»(١) فقد بين لنا المولى سبحانه فى هذا الحديث القدسى وفى

---

(١) أخرجه البخارى (١١ / ح ٦٥٠٢ فى الفتح) وأبو نعيم فى الحلية والبغوى وذكره الألبانى فى السلسلة) وفى عون البارى.

الآيات القرآنية: من هو الولى الحقيقى. فقد ذكر سبحانه أنه هو المتقرب إليه بالطاعات المتحبب إليه بالنوافل والقربات المواظب والحريص على طاعة مولاه سبحانه.

ففى الآية الأولى قوله سبحانه ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فذكر الإيمان، والإيمان قول وعمل وفى الثانية قال عن أولياء الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ إذًا فشرط الولاية الإيمان والتقوى وفى هذا الحديث القدسى بين لنا فضل من يقوم بهذه الأعمال الصالحات إلى الله بأنه يكون الله تعالى سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها. وإذا سأل الله ودعاه فى أى وقت استجاب له دعوته وأعطاه مسألته وإذا استعاذه من شيء يكرهه ويخافه أعاذه منه ونصره عليه، وكيف أن الله ببركة حبه لوليه هذا لم يتردد فى شيء هو فاعله تردده من قبض روح الولى لأنه يكره الموت والله يكره مساءته لحبه له ورحمته وإكرامه. وذلك يفيد مدى حب ورحمة الله لوليه.

ولم يذكر لنا المولى سبحانه فى أمر الولى شيء مما تفوه به المتكلفين والمتفيهقين من القائلين فى الولى بالإطراء أو بالغلو فيه بالكلام المخترع والمصتنع من عند أنفسهم والذى ما أنزل الله به من سلطان.

وقال السيوطى: وسمى الولى وليًا لأنه والَى الله بالطاعة ووالاه بالمغفرة وقال الحافظ فى الفتح المراد بولى الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص فى عبادته وقوله سبحانه من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب: أى أعلمته بأننى محارب له حيث أنه كان محارب لى بمعاداته وليًا من أولياتى.

وقال العلماء: إن أولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم وأعداء الله تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم.

وقال: الطوفى ولما كان ولى الله سبحانه ممن تولى الله سبحانه بالطاعة والتقوى تولاه الله بالحفظ والنصرة وجاء فى الحديث النبوى الشريف «إن لله عباداً ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا: أخبرنا من هم وما أعمالهم فعلنا نحبهم. قال: قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموالاً يتعاطونها فو الله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور. لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤] رواه الطبرانى.

حديث سيدنا عيسى عن أولياء الله الصالحين

وعن أولياء الله الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين هم حقًا لله أولياء تحدث نبى الله عيسى عليه السلام: جاء فى كتاب الزهد لاحمد عن عوف بن داود قال سمعت محمد بن داود عن أبيه عن وهب قال: قال الحواريون: يا عيسى من أولياء الله عز وجل الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قال عيسى بن مريم:

«الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها فأماتوا منها ما يخشون أن

يميتهم وتركوا ما علموا أن سيتركهم فصار إستكثارهم منها استقلالاً وذكرهم إياها فواتًا وفرحهم بما أصابوا منها حزنا فما عارضهم من نائلها رفضوه وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه وخَلقت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها وخربت بينهم فليسوا يعمرونها وماتت فى صدورهم فليسوا يحييونها يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما بقى لهم ورفضوها فكانوا فيها هم الفرحين ونظروا إلى أهلها صرعى قد خلت فيهم المثلات وأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به، لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا ولا أمانًا دون ما يرجون ولا خوفًا دون ما يحذرون»(١).

(١) ذكره الإمام احمد بن حنبل فى كتابه الزهد فى مواعظ عيسى عليه السلام.

الفصل الثانى

علامات الولى

إنه مما لا يتعارض مع العقل والشرع أن لكل صاحب حال علامات ظاهرة تعبر عن حاله وتنطق بلسان لا يكذب وهو لسان الفطرة عن داخله الذى يشعر به فيعرف المسرور والفرح بعلمات السرور والفرح. وهى مثلاً بشاشة الوجه والابتسامة ويعرف المحزون من عباسة الوجه وسرعة الغضب ويعرف المجهد من احمرار الوجه ويعرف الخائف من اصفراره وارتباكه ويعرف المريض من هزله ووعكه وهلم جرا.

ويعرف الولى من أولياء الله الصالحين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من علامات ظاهرة فيه يلتمسها به الناس. لأنها تكون علامات تميزه عن غيره ألا وتنطق بلسان الحق بأن صاحبها ولى من أولياء الله ألا وهى:

١ – من تذكرك بالله رؤيته، ويذهدك فى دنياك عمله، ويزيدك فى عملك منطقه.

٢ – فى الصلاة فيكون حالة فيها حال الخشوع والخضوع والتعظيم لها والمحافظة عليها مهما كانت الظروف.

٣ – فى محبته السنة والعمل بها والتمسك والحرص عليها.

٤ – فى محبته لأهل السنة.

٥ – دعوته إلى الله فيجند نفسه داعى إلى الله على بصيرة فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

٦ – فى تجريد التوحيد المنافى للشرك بالله جل وعلا فلا ينبغى أن يكون من الذين يتخبطون من الناس فيعطلون تجريد توحيدهم لخالقهم بسبب شركهم أو غلوهم فى الصالحين أو اتخاذهم مع الله نداً أو وليًا ونحوه.

٧ – فى مخالفته لأهل البدع والبعد عن مذهبهم إبتغاء وجه الله جل وعلا.

٨ – فى قوله الحق ولو كان مرًا.

٩ – أن يعد نفسه من المقصرين وإن كان من المجتهدين.

١٠ – ألا يستكثر على الله الكثير ولا يرضى له بالقليل.

١١ – أن يكون للسانه خازنٌ ولبصره مطرفٌ وفى نطقه لله ذاكرٌ.

١٢ – أن يستوى لديه ذم الناس ومدحهم.

١٣ – أن يكون لين القلب صغيراً عند نفسه مهابًا مبجلاً عند الناس.

١٤ – إذا ذكر الله مال كما يميل الشجر فى يوم الريح وهملت عينيه بالبكاء والدموع.

١٥ – أن يعبأ بأمر الآخرة ولا يعبأ بأمر الدنيا وإذا عرض عليه أمران أمر دنيا وأمر آخرة ابتدأ بأمر الآخرة وقدمه على أمر الدنيا وتفرغ لأمر الدنيا بعد ذلك.

١٦ – حبه للمساكين وتعظيمه لأهل الدين.

١٧ – فى التواضع لعباد الله فى أرضه.

١٨ – عدم طلبه العلو فى الأرض والرفعة والجاه وحب السلطة والمال والبناء لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] وأن ينظر إلى من هو دونه ولا ينظر إلى من هو فوقه.

١٩ – ألا يخشى فى الله لومة لائم. فلا ينبغى له أن يكون مداهنًا أو منافقًا أو خائفًا من جبارٍ فى الأرض أو ظالم أو لا يكون نفاقه ومداهنته حفظًا منه لشرف أو سمعة أو منصب يخشى عليه.

فقد جاء فى كتاب الروح لابن القيم فى الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ما مختصره :-

والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان أن أولياء الرحمن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون.

فأولياء الرحمن هم المخلصون لربهم المحكمون لرسله فى الحرم والحل والذين يخالفون غيره لسنته ولا يخالفون سنته لغيرها. فلا يبتدعون ولا يدعون إلى بدعة ولا يتحيزون إلى فئة غير الله ورسوله وأصحابه ولا يتخذون دينهم لهوًا ولعبًا ولا يستحبون السماع الشيطانى على سماع القرآن ولا يؤثرون صحبة الافتتان على مرضاة الرحمن ولا المعازف والمقانى على السبع المثانى وأنشد يقول...

برئنا إلى الله من معشرٍ بهم مرض مورد للضنا

وكم قلـت يا قوم أنتـم على شفا جرف من سماع الغنا
فلما استهـانـوا بتنييهنـا تركـنا غويًا وما قد جـنا
وهل يستجيب لداعى الهدى غوى أصـار الغنا ديدنـا؟
فـعـشنا على ملة المصطفـى ومـاتوا على تاتنا تنتنا

وقال رحمه الله:

فأولياء الرحمن المتلبسون بما يحب وليهم الداعون إليه المحاربون لمن خرج عنه وأولياء الشيطان المتلبسون بما يحب وليهم قولاً وعملاً يدعون إليه ويحاربون من نهاهم عنه فإذا رأيت الرجل يحب السماع الشيطانى من الشرك والبدع والفجور علمت أنه من أوليائه فإذا اشتبه عليك فاكشفه فى ثلاث مواطن :-

١ - فى الصلاة ومحبته لأهل السنة وأهلها ونفوره عنهم.

٢ - ودعوته إلى الله ورسوله.

٣ - وتجريد التوحيد والمتابعة وتحكيم السنة فزنه بذلك لا تزنه بحال ولا كشف ولا خارق ولو مشى على الماء أو طار فى الهواء - انتهى.

فإذا وزنته بهؤلاء الثلاث وتبين لك أنه من أهل البدع والمخالفة والضلالة فيجب الابتعاد عنه واجتناب مجلسه لأن فيه الخسارة لا المكسب وقد جاء فى كتاب الاعتصام للشاطبى قال: فيما كتب أسعد بن موسى لعامله «وإياك أن يكون لك من البدع أخ أو جليس أو صاحب فإنه جاء فى الأثر من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى إلى هدم الإسلام.

الفصل الثالث

صفات الولى

قال تعالى فى سورة الفرقان ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٦٤] وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥ – ١٧] وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

فمن خلال هذه الآيات الكريمات المباركات يتبين لنا أن لأولياء الله سبحانه صفات عظيمة القدر غالية وهى صفات العلو والرقى إلى الله فى الدارين وهذه الصفات تتمثل فى :–

١ – صفة التواضع ولين الجانب للناس.

٢ – صفة السجود والقيام.

٣ – صفة الصبر وتفويض الامور على الله.

٤ – صفة الصدق.

٥ – صفة القنوت.

٦ – صفة الإنفاق.

٧ – صفة الاستغفار فى آخر ساعات الليل وقبل ظهور الفجر وهو وقت السحر.

٨ – صفة السمع والطاعة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ.

obeikandl.com

الفصل الرابع

أسرار الأولياء

إن عالم الأسرار عالم له طَابَع خاص فهو عالم غريب وعجيب لأنه يكون بين الناس ومحجوب عن الناس وغريب لأنه كالحوت يسبح فى قاع بحر النفس ولا يخرج منها فيموت وهو كالعذراء فى خدرها تخشى أن تتكشف للناس فلا تنكشف إلا للمحارم فقط. ولا يستطيع أحد كائن مَنْ كان أن يطلع على هذا العالم الغريب العجيب ويجليه إليه إلا الله سبحانه و حده لانه ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه : ٧].

ونحن بفضل من الله تعالى فى هذا الباب وفى هذا الفصل نكشف عن أغرب وأعجب ما فى هذا العالم الخفى من أسرار وذلك بإذن من الله وفضله. ونكشف عن غريب هذا العالم ونسرد عجيبة من الأسرار فى هذا المقام والله الموفق فإن لأولياء الله الصالحين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أسرار قربتهم من الله وثبتتهم على طاعته و كانت سبباً لتفوقهم فى عبادته وذاقوا حلاوة لهذه الأسرار وتمتعوا بلذاتها فهونت متعة هذه الأسرار عليهم مصائب الدنيا ومشاقها فحولت مرارة العذاب إلى حلاوة وشقاوة الدنيا إلى سعادة.

وقربت لهم كل بعيد وكشفت لهم عن كل نور جديد وتلك الأسرار العالية نسجتها عزائمهم وصنعتها هممهم وحاكتها قلوبهم وقدمتها

أرواحهم وأبدانهم خالصة طيبة نقية إلى الله رب العالمين.

وهذه الأسرار تنقسم إلى قسمين أو نوعين وهى... أسرار مع النفس، وأسرار مع الله سبحانه.

وأما أسرار الولى مع نفسه فهى ستة أسرار لتربية النفس وتقويمها فلكل ولى من أولياء الله الصالحين مع نفسه أسرار لتربيتها وتقويمها لكى يعدها له وزيراً معيناً له على طاعة مولاه جل وعلا ونذكر هؤلاء الأسرار الستة وما فيهن من العجائب فأما هؤلاء الأسرار فهى: -

المشارطة، والمراقبة، والمحاسبة، والمعاقبة، والمجاهدة(١)، والمعاتبة.

وأما أسراره مع الله فهى سبعة أسرار وهم:

١- سر سلامة القلب

٢- سر سلامة الإسلام

٣- سر الإلهام

٥- سر الحكمة

٦- الهيبة والوقار

٧- سر السعادة وراحة البال

السر الأول المشارطة

ومعنى المشارطة والشرط هو ما يتقرر فى بيع وفى الفقه هو ما لا يتم البيع إلا به وبماذا تكون المشارطة؟ تكون بالعقل على النفس.

---

(١) اقتباساً من كتاب إحياء علوم الدين للغزالى ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامه.

وهذا السر وتلك الفضيلة المشارطة لها شان كريم على النفس لأنها واحدة من أساليب التربية الفعالة لنفس العبد المؤمن فهى درجة علية، أول درجات الرقى بالنفس والسمو بها إلى منازل الأولياء والمقربين.

فما أحوج كل نفس بشرية خلقها الله إلى هذه الفضيلة السمينه وذلك الخلق الرفيع فتتحلى بالمشارطة وتقوم بها لتنعم بخيرى الدنيا والآخرة ويتم لها بعد تمام وكمال الطاعة ما ادخره المولى لها من النعيم والحيرة والمشارطة تكون بالعقل على النفس فيكون العقل بمثابة التاجر الفطن والنفس بمثابة الشريك الغير مأمون فيشترط العقل على النفس شروطاً ويوظف عليها الوظائف فكيما تربح التجارة يحتاج كل تاجر إلى شريك يستعين به فى تجارته وكذلك العقل يحتاج إلى مشاركة النفس لتقوم السوق وتعرض البضائع وتجرى الوظائف ويكون العقل راشداً مرشداً فيرشد النفس إلى الطريق الصحيح ويخشى خيانتها وشرودها ويقف لها مراقباً ومربياً كى تعينه على الوصول إلى بر الأمان والفوز بالربح المنتظر بعد تماما المدة المحددة لهذه التجارة و إنفضاض السوق وأى تجارة أعظم من التجارة مع الله رب العالمين.

وأى ربح لتجارة أعظم وأغلى من الجنة والفردوس الأعلى فحق على تجارة كان ربحها الفردوس الأعلى أن تحظى من قبل صاحبها بالتدقيق والمشارطة والمحاسبة خشية الخسارة وفوات هذا النعيم كله المنتظر.

وحق لتجارة ربحها هذا المؤمل أن تحظى من قبل صاحبها ببذل قصارى الجهد فى السعى لطلبها والعمل والجد من أجلها والحرص عليها.

فكيف تكون المشارطة:

تكون بأن يشترط الإنسان بعقله على نفسه أن تحفظه من سبعة أعضاء هؤلاء الإعضاء السبعة ما هلك هالك إلا من ورائهن..

وما أدخل الناس نار الجحيم وذاقوا العذاب الأليم بعد إيمانهم وإسلامهم وعلمهم إلا بهن أو بعضهن أو عدم التحصن منهن.

وهؤلاء السبعة أعضاء هن السمع والبصر واللسان والبطن والفرج واليد والقدم..هؤلاء الأعضاء السبعة بهن النجاة من الأهوال وسوء الأحوال والضروب والنكال وبهن الحسرة والندامة والخيبة والتعاسة.

ولو نظرنا إلى هؤلاء الأعضاء نجد أنهم سبعة وأبواب النار سبعة وكان كل عضو من هؤلاء الأعضاء سبباً لفتح باباً من أبواب النار ودرك من دركاتها.

فتفطن يا أريب قبل أن تقع فى أمر كريب فلا تجد لك صاحب ولا قريب ولا صديق ولا حبيب يخلصك من نار الجحيم ومرار أليم وعذاب مقيم واشترط على نفسك من الآن قبل فوات الأوان وأنت فى دار الدقائق والثوان أن تملأ قلبك بالإيمان وتشغل عمرك بالإحسان وتصرف نفسك إلى الواحد الديان بالطاعة والإقدام فاشترط عليها أن تحفظك من عينك فلا تنظر إلى محرم وإذا نظرت فلا تهملها ولا تتركها من غير حساب وعتاب وعقاب وجهاد وإلا هان عليها الأمر وصار صغير وأخذ الذنب بعد الذنب وتخطئ الخطأ الجم لأن الذنوب تولد أقرانها وأخواتها وقل لها تفكرى يا نفسى فى هذه الآية ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

﴿وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦] ففهمها هذه الآية وقل لها يا نفس ويحك أليس هذا الكلام قرآنًا يتلى وكلام المولى؟ وأخبرها أن هذه النعمة ما خلقت لهذا الحرام وجملة الآثام، إنما خلقت للحلال وطاعة ذى الجلال والشكر والعبادة فما هذا الذى تجاوزتى به حدك وتخرجين به عن طوع سيدك إن كان هذا الخروج عن جهلك فما أعظم مصيبتك لقلة علمك وكثرة شركك وبعدك وفجورك وأين أنت من قول سيدك سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وإن كانت هذه الجرأة على الله فى معصيته عن علمك بأنها تجاوز من حدك فإن مصيبتك أعظم وأمرك أدهى وأطم إذ أنه لا حجة لك فقد علمت فلماذا تجاهلت وبأى حق اسرفت؟ وأين أنت من قوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾؟ وقوله النبى ﷺ: «أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة منهم عالم».

واشترط عليها أن تحفظك كذلك من عضو السمع فلا تسمع إلا حلالاً من ذكر وقرآن وتسبيح وآذان ونحوه وقل لها بلسان الحال يا نفس إن السوق قائمة وإن كل تاجر قد عرض سلعته وإن خالق الخلق ومدبر الأمر قد عرض سلعته وهى الجنة والأمر لك بالخير فاختارى مع من تتاجرين؟ مع الله فتكون لك السعادة ووافر الربح والفوز بالجنة حيث النعمة.

أم مع غيره ممن لا يملك لك نفعًا ولا ضرًا فتكون الحسرة والندامة على فادح الخسارة واشترط عليها أن تحفظك من عضو اللسان وقل لها يا نفس قد من عليك الله المنان بنعمة اللسان وجعله عضلة مرنة سهلة الحركة والدوران والتذوق والكلام فسبحان الحنان المنان فانظرى فيما تستخدمينه

وقد أمرك مولاك أن يكون فى ذكره وشكره وحسن عبادته فحذارى ثم حذارى من سوء استخدام هذه الآلة المرنة فإنها على مرونتها وسهولتها إلا إنها تكون سببًا كبيراً لهلاك صاحبها إن لم يحفظها ومن سوء الاستخدام يمنعها فقد ورد فى الحديث الذى رواه البخارى عن معاذ ابن جبل «قال: قلت يا رسول الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال له ثكلتك أمك وهل يكب الناس على وجوههم فى النار إلا حصائد ألسنتهم»(١) واشترط عليها أن تحفظك من البطن فتتقى شره الطعام وأكل الحرام والربا والسحت ومال اليتيم وغيره فإن الله تعالى أوصى بذلك رسوله وأنبياءه فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وقد ذم الله تعالى الحرام ونهى عن أكله فقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] وإن النبى ﷺ ذكر فى حديثه: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب»(٢) وقال فى حديث آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن قال: الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(٣) متفق عليه. ومعنى الموبقات المهلكات.

واشترط عليها أن تحفظك من الفرج فتتقى به أن تتعدى حدود الله من الحلال يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وأخرجه (٤/ح ٢٤٠٦).

(٢) رواه مسلم وهو عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٣) أخرجه البخارى فى الفتح (٥ح ٢٧٦٦) وملم فى الإيمان (١/١٤٥٩٢).

مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ – ٧] واشترط عليها أن تحفظك من اليد فلا تبطش بغيرحق ولا تمد لسؤال لغير الله جل وعلا ولا تمد لسرقة أو لخمر أو فعل منهيٌ عنه واشترط عليها أن تحفظك من القدم فلا تمش إلى معصية إنما تمشى بها إلى الصلوات الخمس فى جماعة ولمجالس العلم والذكر وأفعال البر جميعها فإذا تحققت فيها أمور المشارطة يبقى بعدها المراقبة على ما اشترط عليها.

السر الثانى المراقبة

فإذا وفق العبد فى مشارطة نفسه يبقى له مراقبتها على ما اشترط عليها لئلا تنقض عهدها وتخرق وعدها وتتعدى حدودها.

والمراقبة تكون فى سبعة أشياء: فى الطاعة، وفى المعصية، والتوبة، وفى المباح، وفى النعم، وفى البلاء.

أولاً: فى الطاعة:

فتبدأ فيه بنية ثم تتوسط بعدها الإخلاص ثم تنتهى بالإحسان فإذا قدمت النفس إلى عمل من أعمال الطاعة والبر يجب على العقل أن يراقبها فيه فينظر ما المقصود بعمل هذه الطاعة وما الدافع إليها أيكون المقصد والدافع إليها مرضاة الله أم مرضاة الناس وحب السمعة أو حرصًا على حظ من حظوظ الدنيا أو حظوظ النفس فإن كان المقصود بها وجه الله تعالى ومرضاته فيجب عليه أن يرغبها فى الإخلاص وإن كان المقصود به غير الله صار ذلك حظها من الدنيا وذلك بسبب ما شاب الإخلاص فى هذا العمل

من شوب الهدف والمقصد الدنيوى الزائف مثل الرياء، والسمعةُ لمرضاة الناس فالواجب إذا وقعت النفس فى هذه الذلة أن يدفعها بعيداً عن هذا الشوب الذى يعكر عليها إخلاصها فى العمل وكان أحد الصالحين وهو سفيان الثورى يضرب نفسه ويقول لها يا نفس أخلصى وتخلصى ولتقل لها يا نفس هل هناك غير الله أحب إليك مرضاته وقبوله للعمل سواه فتؤثرى إياه فى الطاعة عن الله.

فمن هنا كان حقًا على العبد قبل شروعه للعمل أن ينظر ما الذى حركه عليه ودفعه لفعله فإن كان المحرك إخلاصًا لمولاه أقبل وإن كان لسواه أحجم وقال رحمه الله: رحم الله عبداً وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغير الله تأخر.

وإن لفضيلة المراقبة أهلا عرفوا قدرها وسعدوا بنيلها فهى فضيلة ليست لكل الناس وإنما أهل المراقبة قليلون ممن اختار الله واصطفى من عباده لأنها ليست بالأمر الهين إنما هى ثقيلة تحتاج إلى رجال.

وقيل دخل الشبلى على ابن أبى الحسين النووى وهو قاعد ساكن لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له ممن أخذت هذه المراقبة والسكون فقال من نسور كانت لنا إذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر حتى لا يتحرك لها شعره.

وتكون المراقبة فى النعم والعطاء بالشكر عليها وأن ينسب العبد هذه المنة وتلك النعمة والعطية للمنعم سبحانه لأن كل شيء منه ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وتكون المراقبة فى النعم بعدة أشياء نذكر

منها:

١ – الشكر عليها.

٢ – حسن استخدامها.

٣ – المحافظة عليها.

٤ – معرفة قدرها وقيمتها والتعرف على عظمة من أوجدها.

السر الثالث المحاسبة

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [حشر: ١٨] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ [الأحزاب: ٧٠] وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] فهذه الآيات الكريمات إذا نظرنا إليها نجد أنها تشير إلى المحاسبة محاسبة العبد نفسه وأن المحاسبة صفة من صفات المؤمنين المتقين كما أخبر الحق سبحانه فى الآية فى خطابه للمؤمنين يحثهم على المحاسبة ﴿ يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ﴾[١] فهى صفة المؤمنين المتقين الأولياء الصالحين لله رب العالمين.

وهى صفة الأكياس العقلاء وأولى الألباب لقول النبى ﷺ فى الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها

---

(١) أخرجه الترمذى وأحمد وابن ماجه وأخرج الحاكم وصححه.

وتمنى على الله الأمانى »[1] وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أتيت النبى ﷺ عاشر عشرة فقام رجل من الأنصار فقال يا نبى الله من أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال : أكثرهم ذكراً للموت وأكثرهم استعداداً للموت أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة» رواه ابن أبى الدنيا[2] فطوبى لعبد فطن لنفسه واستيقظ من غفلته فعلم أن نفسه حقيرة ومقصرة فأمسك بلجامها وساقها إلى طريق النجاه وحاد بها عن طريق الهلاك. طوبى لعبد فطن أن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب بلا عمل فخاف على نفسه من الفوت والضياع فى الآخرة فوقف لنفسه محاسباً يحاسبها فى يوم العمل قبل يوم الحساب استعداداً منه لها وتهيئة ليوم الحساب وتقديراً لعظمته وهيئة ورهبة هذا اليوم الكبير الطامة الكبرى الذى لابد وحتماً لتجزى نفسه بماكسبت ويجزى فيه كل بما قدم يوم لا ظلم فيه من قدم شيء وجده طوبى لعبد فطن الدنيا مهما كثرت ومهما حلت وتزينت ومنها تزخرفت فإنها دار فرار وأن الآخرة دار قرار فأخذ الزاد من دار الفرار إلى دار القرار.

طوبى لعبد فطن أن الدنيا مهما طالت فهى ساعة وأن الآخرة ليست لها نهاية فتذكر لحظة كيف يغتنم هذه الساعة ليسعد ويفوز بدار ليست لها نهاية وهذه المحاسبة بفضل الله جلا وعلا تكسب العبد صفات غالية وفضائل عاليه نذكر منها:

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن.

(٢) رواه بن أبى الدنيا فى كتاب الموت والطبرانى فى الصغير بإسناد حسن ورواه ابن ماجه بإسناد جيد ورواه البيهقى فى الزهد بلفظ اخر وهو الحديث السابق.

١ - النفس اللوامة

فإن المحاسب لنفسه المسترجع لها يصل به ذلك إلى اكتساب نفس لوامه والنفس اللوامة لها شأن عند الله كبير وهى نفس أحبها الله وأقسم بها لعظمتها عنده وجميل قدرها فقال سبحانه فى سورة القيامة ﴿ **وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾ [القيامة : ٢] .

٢ - وجوب توبة الله على صاحب هذه الصفة

لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء : ١٧] .

ففى هذه الآية الكريمة إخبار من الله بمن تجب عليهم توبته وأنها تجب من الله على صنف معين من الناس وهم الذين إذا فعلوا الذنب ندموا وخافوا سوء العقاب فتذكروا فبادرو بالحساب وبمحاسبة أنفسهم ولومها واسترجاعها والتوبة قبل أن يحاسبوا عليها فهرعوا إلى مولاهم وضرعوا إليه وخشعوا وخافوا وأعلنوا الإقلاع عن تلك المعصية فهؤلاء الصنف من الناس هم الذين وجبت عليهم التوبة من الله تعالى أى المغفرة والقبول .

٣ - التقوى

فإن المحاسب لنفسه المسترجع لها التائب يكتسب بذلك درجة رضية وفضيلة كريمة وهي التقوى لقوله سبحانه فى ذلك : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ [الحشر : ١٨] فإن المحاسب لنفسه إنما يحثها على تقوى الله تبارك وتعالى وطاعته .

٤ - الكياسة

وهى الفطنة وحدة الذكاء وكامل العقل لقوله ﷺ : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت »(١) .

٥ - هى صفة من صفات أهل الجنة .

فإن المحاسبة من عظيم قدرها ومن جميل فضلها أنها صفة من صفات أهل الجنة فإن أهل الجنة كما تخلقوا بها وقاموا دائماً أبداً بالمحاسبة والملامة لأنفسهم على تقصيرهم ونالوا بهذه الصفة صفة المحاسبة المقامات العالية والدرجات السامية والقرب من رب العالمين وأخبرنا بذلك الحق سبحانه فى كتابه العزيز فقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٥، ١٣٦] .

كيفيتها :

قال عمر بن الخطاب : - رضى الله عنه - حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم .

وقال حكيم : واعلم أن العبد كما ينبغى أن يكون له وقت فى أول النهار يشارط فيه نفسه كذلك ينبغى أن يكون له ساعة يطالب فيها نفسه فى آخر النهار ويحاسبها على جميع ما كان منها كما يفعل التجار فى

---

(١) أخرجه الترمذى واحمد وابن ماجه واخرجه الحاكم وصححه على شرط البخارى.

الدنيا مع الشركاء فى آخر سنة أو شهر أو يوم.

وقال أحد الحكماء يصف معنى المحاسبة

ومعنى المحاسبة أن ينظر فى رأس المال وفى الربح وفى الخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فرأس المال فى دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصى ويحاسبها أولاً على الفرائض فإذا ارتكبت معصية اشتغل بعقابها ومعاقبتها ليستوف ما فرط.

وقيل كان توبة بن الصمة بالرقة وكان محاسبًا لنفسه وحسب يومًا فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هى إحدى وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم فخرج وقال يا ويلى أن ألقى الملك سبحانه بإحدى وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب كيف وفى كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيًا عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلاً يقول يا لها ركضة إلى الفردوس الأعلى.

فياولى الله اعلم أن المحاسبة كنز عظيم فلا تضيعه ثم تندم عليه فبادر ثم بادر ثم بادر عبدالله لتحظى بفضيلة المحاسبة.

١ - المعاقبة

وهى معاقبة النفس بعد محاسبتها على تقصيرها، فينبغى إذا فرغ من محاسبته نفسه فإذا وجد منها تقصيراً أو مخالفة أو اقترفت ذنبًا أسرع فى معاقبتها على ذلك ولا يهملها ويتركها بدون معاقبة وإلا شردت وتحجرت وسهل عليها مقارفة الذنوب ويعسر عليهامفارقتها فمن هنا كان للمعاقبة دوراً فعالاً لردعها وفطامها والمعاقبة تكون فيما يباح به المعاقبة للنفس شرعًا

ولا يجوز معاقبتها بما يخالف الشرع ولا يرضاه فتكون معاقبتها فى تزويدها بكثرة الاوراد اليومية أو إجبارها على القيام بالليل والسهر وحرمانها من النوم أو على مدارسة باباً من العلم أوعلى انفاقها صدقة أو تعزيزها بالصوم ونحوه ولكن كونه أن يعاقبها العبد بضرب مبرح أو بجلد أو بقطع أو بشح ونحوه فهذا ما لا يجوز لأن فيه التعدى على ملك الله وصنعته وفيه المخالفة الشرعية لأن هذه الأعضاء الحميدة أمانة استودعها الله عبده فى أرضه فوجب عليه حفظها وصونها ولا يتصرف فيها بما يروق له أو على هواه وفيه القلد. فيها وللمعاقبة من الفضائل العظيمة ما يرغب فيها ويقرب لفعلها فمن فضائلها:

١ – الزكاة بمعنى زكاة النفس وهوتطهيرها من كل شوب يشوبها عن إخلاصها لمولاها سبحانه قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧–١٠] ففى المعاقبة زكاة النفس وطهارتها وصونها ورقيها وعلو قدرها وزكاتها تلك مقضية إلى فلاحها لا محالة بإذن الله تعالى.

٢ – فضيلة التأدب مع الله ومع الناس.

فيكون التأدب مع الله بصاعته وحسن عبادته والانقياد إلى حكمه وشرعه والتأدب مع الناس باللين لين الجانب والرحمة والرأفة والموالاة والعادة فيوالى أولياء الله ويعادى أعداءه.

٣ – المصالحة وتجديد العهد مع الله تعالى

وهى التجارة الرابحة والفوز فى الدنيا بمغفرة النفس وإقبال الله على عبده يقول سبحانه: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ [الفرقان: ٧٠].

السر الخامس المجاهدة

والمقصود بالمجاهدة مجاهدة النفس فى دفع الهوى عنها والشهوات حتى تستقر على طاعة الله تعالى.

والمجاهدة هى بذل ما فى الوسع للتحصل على غاية ومعناها فى المصطلح الفقهى هى بذل غاية ما فى الوسع ليحصل ظن بحكم شرعى.

ومعناها فى علم النفس: هى كل نشاط يبذله الكائن الحى الواعى جسميًا أو عقليًا ويهدف عادةً إلى غاية.

وهل هناك غاية هى أعلى وأسمى وأعلى من الله وقربه ورضاه وجنته فإن هذه الغاية وذلك المطلب هى غاية ومطلب العقلاء الفطناء العلماء فطوبى لمن سعى فى تحقيقه وحسن مآب ولهذه الفضيلة المجاهدة من الفضائل الكثير نذكر منها:

فضل المجاهدة:

١ – الاستقامة: فإن المجاهدة مجاهدة العبد نفسه موصله إلى الاستقامة على طاعة الله بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ (فصلت: ٣٠] فلا يزال الرجل مستقيمًا ما كان مجاهدًا لنفسه من، أجل التحصيل على أسمى غاية فى الوجوه وهى الله

ورضوانه.

٢ – حياة هنية ومنية رضية.

فاعلم يا ولى الله أن من فضل المجاهدة هذا الفضل العظيم الغالى الذى هو ببركة المجاهدة مجاهدة النفس فى دفع الهوى لتستقر على طاعة مولاها والذى عقل عن تحقيقه واشتغل كثيراً من الناس إلا من رحم ربى وهدى وتركوه وراء ظهورهم وهو الحياة الهنيئة والميتة الرضية.

فالمجاهدة سببًا للحياة الهنية وسعادة العيش حلاوته ونعيمه وحيرته وإن كان بعض الناس يرون الظاهر فى الولى غير ذلك لأنه يتحلى بالزهد والورع لمولاه عن الدنيا إلا أنه يحيا فى السعادة الحقيقية التى لو علموها لتنافسوا عليها ليرتاحوا وليهنئوا بحياتهم فى الدنيا ولو كشف الناس عن قلب الولى وتعرفو على ما هو فيه من السعادة والنعيم والجنة الخالدة الدائمة لحاربوه عليها ويعلموا بالحقيقة أنه هو السعيد الحقيقى لأن محل السعادة والنعمة والحبرة فى الأيمان بالله تعالى ومحل هذا الإيمان القلب والقلب لا سلطان لأحد عليه إلا الله إذًا فقد يسلب من الغنى ماله وقد يصيب القوى مرضًا يضعفه فيسلبه السعادة بقوته وكذا الملك فى ملكه وكذا كل من يملك شيء من حطام الدنيا فحتمًا إما أن يتركه هو أو يتركه حاجته أما المؤمن السعيد فلا سلطان لأحد على قلبه لذا فهو فى أتم السعادة فى الدارين الدنيا والآخرة فطوبى لقلوب تعرفت بالحقيقة على عظة ربها واستحضرت هذه العظة بداخلها فانشغلت بلذة ذكره وحبه والتفكر فى عظمته وقدرته فجاهدت من أجل رضاه وحسن مجيئه ولقائه وهل هناك على وجه البسيطة نعمة أنعم من نعمة الإسلام ولذا أحلى من لذة الإيمان

ومتعة أفضل وأعظم متعة الأنس بالله جل وعلا ودرجة أعلى من درجة الولاية.

آه لو عرف الناس هذه الأسرار وأدركوا هذه الأخبار واطلعوا على هذه الأنوار لباعوا لأجلها الغالى والنفيس ولذهلوا عن حاجاتهم فى دنياهم وزهدوها إلى هذه المنة وتلك الحبرة وهذه والأسرار والأنوار ليحصلوا على هذا النعيم المقيم وتلك الحبرة الدائمة والجنةالخالدة والسعادة التامة والراحة الأبدية فى معاملة رب العباد والتجارة معه فهم بذلك أحياء ولا حياة للقلوب والنفوس بغيرها لأنها حقًا مادة الحياتين الدنيا والآخرة ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] فإن هذه السعادة والنعيم والحبرة لا يستطيع أن يقطعها عليهم أو يهدمها أو يفسدها كائن من كان لا جبارًا ولا الموت نفسه لأن الموت لا يهدم محل معرفة الله فقلوب الأولياء حية لا تموت خالدة سرمدية بمعرفة الله قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ﴾ [النحل: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

وجاء فى الحديث الذى رواه البخارى: عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه: قالت عائشة أو بعض أزواجه(١) يا رسول الله إنا لنكره الموت. قال: ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر بنعيم الله وكرامته فليس شيء

(١) رواه البخارى.

أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه».

السر السادس المعاتبة

والمعاتبة لها فضل كريم إذ أنها صفة من صفات أولياء الله الصالحين وهى معاتبة النفس على ما فرطت فيه وقصرت من الطاعة وما سبق من الذنوب كما يفعل التاجر مع الشريك بعد المشارطة والمراقبة والمحاسبة والمعاقبة والمجاهدة يبقى له أخيراً أن يعاتبه على التفريط والتقصير عتاباً يرجوا منه إصلاحًا وإصلاحًا يرجو من بعده استقامة وإخلاصًا والعودة إلى الصواب فإنها تكون سببًا بإذن الله عن انتهاء النفس عن غيها وشرودها وتكون المعاتبة تذكرة لها بعدها وآية لها تقف عليها مقتدية متأسية عاملة للخير وجميع هذه الأسرار الستة هى أسرار الولى مع نفسه وأساليب لتربية نفسها وتقويمها لتقوم على المقصد الصحيح الذى خلقت له وهو العبادة.

ثانيًا أسرار الأولياء مع الله

وأما عن أسرار الأولياء مع الله سبحانه فما أجمل الحديث وأحلاه وما أمتعه وأتقاه. إذ أننا سوف نعيش بإذن الله من خلال هذا المقام فى الجنة بعينها ننهل من خيرها ونقطف من ثمرها ونشرب من أنهارها ونكرع من حياضها ونلبس من حريرها وسندسها ونتحلى من ذهبها وحليها، سوف

نعيش بفضل الله تعالى فى هذا المقام فى جنة الأسرار الخالدة وجنة الحب الدائمة والمتصلة بين العبد وبين مولاه سبحانه عبر هذه الوريقات من خلال سردنا وكشفنا لهذه الأسرار الطيبات المباركات.

فكما أن للعبد أسرار مع نفسه لتقويمها يعدها زاداً لآخرته وبرهانًا لمحبته ربه آملاً أن تكون له سفينة نجاته وقربه لمولاه وسببًا لعلو درجته وإرتفاع مكانته من الله سبحانه فإن له أيضًا مع مولاه الحق سبحانه أسرار بل أنوار كريمات جليلات عظيمات ونذكر منها سبعة أسرار وهن:

١ – سلامة القلب.
٢ – سلامة الإسلام.
٣ – سلامة الإخلاص.
٤ – سر الإلهام.
٥ – سر الحكمة والفراسة.
٦ – سر الهيبة والوقار.
٧ – سر السعادة وراحة البال.

السر الأول

سلامة القلب :

يجب أن يعلم كل موحد سالك هذا الطريق طريق الحق على أوامر سيده ومنهج نبيه ﷺ أن يعلم بأن سلامة القلب هى النقطة المركزية، والمرتبة العالية، والدرجة الأولى فى التعرف على الله تعالى وخشيته ومعاملته وسلامة القلب بداية رحلة طويلة مديدة آخرها الجنة بإذن الله تعالى والفوز العظيم والقلوب هى محل معرفة الله تعالى وخشيته

وسلامتها هى من أهم ما يجب السعى إليه والحرص عليه لأن بسلامة القلب ينمو قدر العبد عند ربه وتعلو درجته وحيث أن الفوز والفلاح الأخروى موقوف على سلامته كان الاهتمام بذلك واجب يقول الحق سبحانه: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]. فقد قال ربنا قولاً فصلاً حكمًا عدلاً بأن المال والبنون أيما كانا لا ينفعان العبد ما كان قلبه خرب أو مشوب بحب الدنيا والركون إليها وهذه المهمة مهمة إصلاح القلب مهمة صعبة تحتاج إلى رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه. فيتحلوا بالصبر والمثابرة والمرابطة فى ميدان الشهوات والمحبوبات ويرفعوا رايه نصر دفعهم المكروهات لأجل إصلاح قلوبهم.

ونظرًا لأن هذه المهمة هى مهمة الرجال فقد اعتنى بها واتصف بها أنبياء الله ورسله وها نحن نقرأ فى كتاب الله تعالى عن جهبذٍ من جهابذة الرجال وعملاقٍ من عمالقة إصلاح القلوب قام بهذه المهمة حسن قيام وتحمل لأجلها المشقات وكيد المكيدين له.

لأنه قدر لها قدرها وعرف مدى فضلها وجميل أجرها فسعى إليها فمدحه المولى فى كتابه العزيز وذكى سعيه فى إتمام مهمته هذه فى كتاب يتلى إلى يوم القيامة ألا وهو خليل الله إبراهيم عليه السلام إذ مدحه ربه لما قام به من إصلاح لقلبه بعدما أثنى على نبيه نوح قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصفات: ٨٣، ٨٤].

وكان عليه السلام يعلم أن سلامة القلب ركن ركيز وأمر محتوم وقضية

لزمت الوجوب فكان عليه السلام رغم سلامة قلبه إلا أنه كان يخاف عليه من التحول والفتنة أو التقصير فى مهمته هذه فكان يدعو ربه فى ذلك كما أخبرنا مولنا سبحانه على لسانه فقال: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٧ - ٨٩] فهذا خليل الله ونبيه إبراهيم وحرصه على سلامة قلبه وخوفه من التحول أو الفتنة ودعائة مولاه بالنجاة والحفاظ وعلى أن يحفظ عليه هذه النعمة نعمه سلامة القلب وكذا كل الأنبياء كانوا على هذا الدرب قاموا بذلك الدأب كانوا شغلهم الشاغل إصلاح قلوبهم وقد ورد عن نبينا محمد ﷺ أنه كان يقول فى أكثر دعائه « اللهم إنى أسالك قلبًا سليمًا ».

ثانيًا: مما يسلم القلب:

جاء فى الجواب الكافى لابن القيم فى سلامة القلب ما مختصره. ولا تتم له سلامة مطلقًا حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص. وهذه الخمسة حجب عن الله وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة تتضمن أفرادًا لا تنحصر، انتهى. ويسلم القلب أيضا من « أم الخطايا، وهى أخطر شىء على القلوب وهى الغفلة، فما من خطيئة إلا ونسبتها إلى الغفلة فإنها ما إن تحل فى قلب صاحبها إلا ولدت فيه أولادًا، كل ولد لها أخطر وأشد على القلوب من الآخر، ونذكر منها الشرك. وعليه الشك والنفاق والرياء والكبر والحقد والحسد والعجب والغل والخيلاء والمكروالخداع وكلهم نسبة إلى الغفلة.

وقد ذم المولى سبحانه وتعالى الغفلة ذمًا شديدًا ونهى عنها رسول الله

ﷺ وعباد الله جميعًا فقال تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾

[الأعراف: ٢٠٥].

وبين سبحانه أن النار جعلت لهؤلاء الغافلين والمشركين بسبب الغفلة فسوف يذوقو أشد العذاب سبب غفلتهم عن الله وسبب استغنائهم عن عقولهم وتعطيلها عن التفكير من عظمة الله وتعطيلهم قلوبهم من التدبر والخشية وكذا أبصارهم وأسماعهم من النظر فى آيات الله وسماع ذكرة فصارو مثل البهائم والحيوانات بل هى أعقل منهم وهم أضل منها فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧] وقوله تعالى عن آل فرعون الغافلين: ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٦] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٧] وقوله تعالى ناهيا عن طاعة واتباع أهل الغفلة أو حذو طريقهم ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٧].

فمن خلال هذه الآيات الكريمات المباركات يتبين لنا أن الغفلة خطر على القلوب عظيمٌ ومرض خبيث يفتك بالقلب وصاحبه تدريجيًا وأول ما تلد الغفلة فى قلب صاحبها تلد إتباع وحب الهوى

لقوله تعالى: ﴿ واتبع هواه وكان أمره فرطًا ﴾ أى دماراً وشتاتًا وضياعًا.

٢ – ضلاله عن سبيل الله.

٣ – نسيان يوم الحساب.

٤ – عبادة الهوى من دون الله تعالى.

ففى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] جاء فى تفسيرها أنها نزلت هذه الآية فى عُيينة بن محصن وأصحابه وكان من سادة مضر وأشرافها فلما كلمهم الرسول فى الإسلام دخلوا عنده وعنده جماعة من الفقراء وكان منهم سلمان الفارسى وكانوا يلبسون وضيع الثياب فقال له أما يؤذيك ريح هؤلاء؟ فنحن سادة مضر وأشرافها وإن أسلمنا أسلم كل الناس ولكن ما يمنعنا من الإسلام واتباعك إلا هؤلاء الفقراء فنحهم عنك؟ أو اجعل لنا مجلس ولهم مجلس فنتبعك فلما هم الرسول أن يجيبهم نزلت عليه هذه الآية ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا ﴾ فإنه لا بسبب اتباع الهوى يصير الأمر شتاتًا وضياعًا ودماراً وضنكًا وقد ورد فى الحديث الصحيح يؤيد ذلك الكلام عن النبى ﷺ أنه قال: « ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه » فهذه واحدة أما الثانية والثالثة وهما الضلال عن سبيل الله ونسيان يوم الحساب فقد جاء فى القرآن الكريم تحذيرٌ شديدٌ ونهى أكيدٌ من الله جل وعلا لنبى من أنبيائه وهو داود ما ملكه وخليفة فى الأرض عن اتباع الهوى وبين له أنه يضله عن سبيل الله وينسيه يوم الحساب ويؤدى بمن فعل ذلك إلى العذاب

الشديد يوم القيامة فقال تعالى فى سورة ص ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾ فلو أننا نظرنا إلى هذه الآية الكريمة نجد أن الخطاب من الله تعالى إلى نبى من أنبيائه وخليفة فى أرضه على عبادة فيهاه أن يغده ملكه ويلهه التكاثر فى ما آتاه. فيشغله عن ربه وينسيه ذكره فيضله عن سبيل الله وينسيه يوم الحساب فقال تعالى: ﴿ **ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** ﴾ فيضلك عن دين الله القويم وشرعه المستقيم. وذكر سبحانه جزاء وعقاب من كان هذا هو حالهم فقال تعالى: ﴿ **إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾ لماذا صار العذاب شديداً وصاروا فى أشد الكروب والأحوال فى قرار النار لأنهم نسوا يوم الحساب ولو آمنوا لأعدوا له الزاد ليوم المعاد وكل هذه المصائب والمهلكات بسبب اتباع الهوى الذى هو وليد الغفلة.

واتباع الهوى يوصل إلى الكفر والعياذ بالله والشرك بالله لقوله تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ** ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ يحذر فيها من اتباع الهوى ويبين سوء عاقبته وأن متبع هواه أشد عذابًا وأقبح ذنبًا عند الله من عبادة الأصنام الشمس والقمر والدواب فقد ورد فيما رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تحت ظل السماء

من إله يُعْبَد أعظم عند الله من هو متبع»[1].

وأما عن جزاءُ فضل من خالف هواه وابتغى فى هذه المخالفة طاعة مولاه وطاعة رسول الله ﷺ فإن أجره عظيم ولو كشف له عنه فى دار الدنيا لهانت عليه الدنيا بما فيها ولتاهب بذلك لهذا الأجر العظيم فقد أخبرنا عن ذلك المولى سبحانه فقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠].

ماذا إن لم يسلم القلب أو تهاون صاحبه فى سلامته؟ جاء فى الجواب الكافى لابن القيم فى بعض عقوبات المعاصى للقلب الغافل ما مختصره.

١ - الختم على القلب:

الختم على القلوب والأسماع والغشاوة على الأبصار والاقفال على القلوب وجعل الأكنة عليها والدين عليها والطبع وتقليب الأفئدة والأبصار والحيلولة بين المرء وقلبه وإغفال القلب عن ذكر الرب ونسيان الإنسان نفسه وجعل الصدر ضيقًا حرجًا كأنما يصعد فى السماء و زيادة مرض القلوب وإركاسها وإنكاسها وإركانها بحيث تبقى منكوسة كما ذكر الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أنه قال: القلوب أربعة: فقلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أغفل فذاك قلب الكافر، وقلب منكوس فذلك قلب المنافق، وقلب تمده مادتان مادة إيمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منها.

---

(١) رواه الطبرانى في الكبير عن أبى أمام.. البلاهى.

٢ - خسف القلب .

ومنها الخسف بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه فيخسف به إلى أسفل السافلين وصاحبه لا يشعر وعلامة الخسف به أنه لا يزال جوالا حول السفليات والقاذورات والرذائل كما أن القلب الذي رفعه الله وقربه إليه لا يزال جوالا حول العرش وقال بعض السلف إن هذه القلوب جوالة فمنها ما يجول حول العرش ومنها ما يجول حول الحش

٣- مسخ القلب :

ومنها مسخ القلب فيمسخ كما تمسخ الصورة فيصير القلب إلى قلب الحيوان الذي يشابه الإنسان في فعله فمن القلوب ما يمسخ علي قلب خنزير لشدة شبه صاحبه به ومنها ما يمسخ علي خلق قلب كلب أو حمار أو حية أو عقرب وغير ذلك.. وهذا تاويل سفيان بن المغيرة في قوله «وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم» قال منهم من يكون علي أخلاق السباع العادية ومنهم من يكون علي أخلاق الكلاب والخنازير وأخلاق الحمير ومن يتطوس في ثيابه كما يتطوس الطاووس في ريشه ومنهم من يكون بليدا كالحمار ومنهم الحقود كالجمل ومنهم من يروغ كما يروغ الثعالب وهلم جرا.

٤- نكس القلب

ومنها نكس القلب حتي يري الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا

٥- وهى الأشد (حجب القلب عن الرب) سبحانه

ومنها حجاب القلب عن الرب في الدنيا والحجاب الاكبر يوم القيامة كما قال تعالي: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٤، ١٥]

فهذه كلها داءانْ خطيرة تصيب القلب الغافل المتهاون في اصلاحه صاحبه وقد صدق الله إذ يقول :﴿**يوم لا ينفع مالا ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم**﴾

السر الثانى

سلامة الإسلام

والمقصود بسلامة الإسلام هو تحقيق الإسلام قولاً وعملاً خالصاً لله جل وعلا في الفرد.

تجريد التوحيد لله سبحانه كما ينبغي علي العبد وكما يرضي الرب سبحانه فليس الإسلام مجرد كلمات يتلفظ بها العبد كل يوم وهو لا يعي أو يدرك حقيقتها أو جوهرها أو لا يقدر لها قدرها ولكن ان يتعرف العبد أو لا علي حقيقة الإسلام ثم يطبق ذلك قولا وعملا خالصا لله جل وعلا.

ويجب أن يتعرف كل مسلم ما هي أركان الإسلام وما هي نواقضه ليقوم بأركانه ويتحري لنفسه ويتق الله ما ينقض إسلامه.

والسعي لهذا المقصد سعي مبارك وجهد مقبول إن شاءا لله وذلك نظرا لانه مطلبا صحيحا للعلم النافع الموصل إلي خشية الله تعالي وحسن عبادته وهو تحقيق الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله فهي الأصل الذي يبني عليه كل الاركان.

جاء في الجواب الكافي ما مختصره « في كلمة لا إله إلا الله » وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات وفطر الله عليها جميع المخلوقات وعليها أسست الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي محض الله علي جميع العباد وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار وهو المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به والحبل الذي لا يصل إلي الله من لم يتعلق بسببه وهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام وبهذا انقسم الناس إلي شقي وسعيد ومقبول وطريد وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان وهي العمود الحامل للفرائض والسنة « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »(١).

أما عن حقيقة الإسلام فهي

١ – أنه دين التوحيد بوجود إله خالق واحد مستحق للعبادة وحده دون سواه.

٢ – الإسلام لا يفرق بين الرسل وإنما يجمع بينهم وخاتمهم محمد صلي الله عليه وسلم.

٣– الإسلام دين واضح وبَيِّن وكامل فهو لا يؤمن بالخرافات والمعتقدات الفاسدة والفلسفات المعقدة.

٤– الإسلام دين النظام للحياة البشرية في مختلف مجالاتها.

٥– الإسلام لا يفصل بين المادة والروح فصلا كاملا.

---

(١) البخارى ومسلم فى الصحيحين.

٦- الإسلام عقيدة قبل أن يكون شريعة.

٧ - الإسلام يدعو إلى العلم ويشجع على التطور العلمى النافع(١).

فهذه كلها حقائق قد أقرها الإسلام وهى المفهوم الصحيح فى الإسلام وأما عن أركان الإسلام فهى خمسة أركان بل خمسة أعمدة ودعائم وجب على كل مسلم القيام بهن جميعهن وهذه الأركان الخمسة وردت فى الحديث المشهور الذى ذكره النووى فى الأربعين وذكره ابن رجب الحنبلى المقدسى فى جامع العلوم والحكم وهو موجود فى الصحيحين البخارى ومسلم عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإيقام الصلاة إيتاء الزكاة وحج البيت و صوم رمضان»(٢)، قال صاحب الأربعين وهؤلاء الخمس من أتى بهن فقد أتم إسلامه كما أن البيت يتم بأركانه كذلك الإسلام يتم بأركانه وقال ابن رجب والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبنى على هذه الخمس فهو كالبيت لا يتم بناؤه إلا بأركان وأعمدة، فالإسلام البيت والخمسة أركان أعمدة هذا البيت، فإذا هدم منها ركن واحد هدم البنيان قال وهو قائم لا ينقض ذلك بخلاف نقص الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول فقدها جميعها بغير أشكال»(٣).

---

(١) راجع كتيب توجيهات إسلامية للفرد والمجتمع.

(٢) مراجع كتيب توجيهات إسلامية للفرد والمجتمع.

(٣) ذكره الإمام النووى فى أربعين (ص ١٦ / ح ٣) وأخرجاه فى الصحيحين من رواية عكرمة بن خالد بن عمر رضى الله عنهما وخرج حديثه أيضاً احمد فى المسند (٤ / ح ٦٤) لإسناده صحيح.

ولهذا الإسلام نواقض إذا فعل العبد منها واحدة انتقض إسلامه وهى :-

١ - دعاء غير الله بقصد العبادة والقربى كدعاء الأنبياء والأولياء والملائكة والإنس والجن لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقول النبى ﷺ فيما رواه البخارى فى صحيحه: « من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار ».

٢ - إنكار ركن من أركان الإسلام المعروفة كالصلاة والزكاة والصوم والحج أو إنكار ركن من أركان الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

٣ - اشمئزاز القلب أو شكه أو ظنه فى توحيد الله جل وعلا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥].

٤ - الاعتماد والتوكل على غير الله لقوله سبحانه: ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

٥ - الطواف حول قبر أو ضريح أو غيره بنية التعبد لانه لا يجوز إلا بالكعبة لقوله سبحانه: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩].

٦ - النذر لمخلوق غير الله بنية التقرب العبادة له لقوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي

نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ [آل عمران: ٣٥].

٧ – الاستهزاء بشيء من القرآن أو الحديث الصحيح والرسول أو المؤمنين لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٦].

٨ – الإيمان ببعض الكتب إنكار بعضها أو ببعض الرسل وإنكار البعض لأن ذلك يوجب الردة عن الإسلام لقوله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

٩ – الارتداد عن الدين لقوله تعالى: ﴿ ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة أولئك هم الخاسرون ﴾.

١٠ – إنكار اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته أو فعل من أفعاله الثابتة فى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة.

فهذه بعض نواقض ومبطلات الإسلام الذى اكتفيت بسردها رجاء البعد عنها وعدم الوقوع فى واحدة منهن فإن سلامة الإسلام فى تحقيق الإسلام قولٌ وعملُ وتحقيق الإيمان قولُ وعملُ والبعد عما ذكرناه من مبطلات الإسلام والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

السر الثالث

سلامة الإخلاص

والمقصد بسلامة الإخلاص هو تحقيق الإخلاص لله وحده مع المحافظة والمعاهدة عليه قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

ومعنى الإخلاص هو الصفاء والنقاء من أى شوب يشوبه كصفاء اللبن الخالص فنقول لبن خالص: أى نقى وصافى من كل شوب يغيره من خلاصة ونقول دين خالص أى دين نقى صافى ليس فيه شوب يشوبه ويغيره يقول الحق سبحانه: ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾، والإخلاص فضله عظيم وأجره جزيل إذ أنه من مقامات السالكين ومطية الناجين وذخر للمحققين. والإخلاص لكى يتحقق فى العبد فله شروط هى: -

١ - النية.

٢ - العمل.

٣ - تحقيق العمل به.

فإن العمل بغير نية عناء، النية بغير إخلاص رياء، والإخلاص من غير تحقيق هباء قال تعالى: ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾، فيبدأ تحقيق الإخلاص من النية. والنية واجبة كما قال العلماء

وكرهوا التلفظ بها ويتبع النية العمل فيصير العمل إلى ما قد سُبقت عليه النية ثم يتبع العمل الإخلاص فيه وهو تنقية وتصفية وتمحيص ودفع كل شوب يشوبه كالرياء والسمعةوالفخر والمدح والاعجاب ونحوه فلا ينبغى به إلا وجه الله وحده لأن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا له وحده لانه ه أغنى الأغنياء عن الشرك ثم يتبع هذا الإخلاص التحقيق أى إشهار العمل وتحقيق الإخلاص فيه وخير الأعمال المخلصة ولو كانت قليلة فقد قال النبى ﷺ لمعاذ بن جبل عندما أرسله لليمن أخلص دينك يكفيك القليل من العمل».

والإخلاص يضاد الشرك فمن لا يخلص فهو يشرك والإخلاص خلاص النفس مما يأخذها عن الصفاء النقاء من المتعلقات المادية الذائفة إلى العلاقة الواحدة الوثيقة الخالصة لله وحده سبحانه.

وكان معروف الكرخى يضرب نفسه ويقول يا نفسى أخلصى وتخلصى وقال أبو سفيان طوبى لمن صحت له خطوة لا يريد بها إلا وجه الله تعالى، والمخلصين هم أقرب الناس إلى الله لأنهم لما قصدوا عبادته وطاعته وقدموا الأعمال صار كل منهم لا باعث عليه ولا مطلب له إلا فضيلة القرب من الله تبارك وتعالى فدأب يعمل جاداً مجتهداً لذلك المطلب ويصبر عليه صبراً جميلاً.

فصاروا فى جنة الإخلاص أحياء رجالاً أقوياء جعلنا الله منهم أجمعين آمين.

السر الرابع

نور الوجه وألفته

وهذا النور الذى يلقيه المولى سبحانه فى وجوه وقلوب أوليائه الصالحين إنما هو آية وعلامة من علامات محبته ورضاه سبحانه عليهم.

ومن حكمة الله فضله أن ذلك النور الربانى يكون ظاهرى فى وجوه أوليائه فترى الواحد منهم مستنير الوجه كأنه القمر ليلة كماله وذلك ثابت فى الكتاب والسنة ففى الكتاب قوله تعالى: ﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ** ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكلمة سيماهم أى علاماتهم فمن ضمن علاماتهم التى تكون فى وجوههم علامة ما يلقيه الله من النور فتصير وجوههم معروفة مميزة مألوفة محبوبة لهذا النور وقد ورد فى الحديث رواه الطبرانى أن النبى ﷺ قال: «إن لله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا أخبرنا من هم وما أعمالهم فعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

وكان الحسن البصرى أسمر اللون إلا أنه كان شديد نور الوجه فلما سألوه عن ذلك النور الذى يرونه فيميزه على غيره بالوقار بمجرد النظر

فى وجهه وفى وجوه العارفين فقال لأننا خلونا بالله فى ليلنا أى بصلاة القيام فكسا الله عز وجل من نوره فى قلوبنا ووجوهنا فازدادت نوراً بنور الله وإن أهل الليل فى ليلهم هم قائمون ألذ من أهل اللهو فى لهوهم وهم لاهون وكان رسول الله ﷺ وهو القدوة والأسوة الحسنة لنا كان ظاهر الوضاءة شديد نور الوجه وكان وجه مستنيراً كأنه القمر فى كماله.

السر الخامس

الإلهام

والإلهام سر من الأسرار المكنونة بين العبد وبين مولاه وخالقه سبحانه هذا السر يهبه الله من يشاء من عباده لمن أحب معنى الإلهام هو تحديث القلب كأنه يوحى إليه فقد يعلم مدارك الأشياء وخوارقها وذلك ثابت فقد تحدث عن الإلهام والملهمون المصطفى ﷺ.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدثون فإن يكن فى أمتى فإنه عمر»(١)، رواه البخارى ومسلم وقال بن وهب «مُحَدثون» أى ملهمون.

ولقد صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر عن إلهام عمر رضى الله عنه فقد ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: ما سمعت عمر رضى الله عنه يقول لشىء إنى لأظنه كذا إلا كان كما يظن»(٢)، رواه البخارى.

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما.

(٢) رواه البخارى وذكره النووى.

ومن الملهمين أيضا والدين سعدوا بفضيلة الإلهام صحابى جليل هو عبد الله أبو جابر بن عبد الله الراوى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة فقد حدَّثَ عن أبيه قال جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما . – لما حضرت أُحُدْ دعانى أبى من الليل فقال: ما أرانى إلا مقتولاً فى أول من يقتل من أصحاب النبى ﷺ وإنى لا أترك بعدى أعز علىَّ منك بعد نفس رسول الله ﷺ وإن علىَّ دين فاقض واوص بإخوتك خيراً فأصبحنا فكان أول قتيل ودفنت معه آخر فى قبره ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذ هو كيوم وضعته غير أذنه فجعلته فى قبر على حدة»(١)، فى ذلك الحديث يتبين لنا من كرامه الإلهام أن هذا الصحابى أُلهِمَ أو حُدثَ بثلاثة أشياء: –

١ – أنه سوف يقتل فى غزوة أحد .

٢ – أنه سوف يكون أول قتيل فيها .

٣ – أن ولده جابر لن يقتل فى الغزوة بالرغم من أنه سوف يخوض معه المعركة ويقاتل .

السر السادس

الحكمة والفراسة وهى الذكاء

يقول الحق سبحانه: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، والحكمة شيئان جليلان كريمان هما العلم والتفقه فى الدين، والحكمة فى الكلام هى أن يقل لفظه ويعظم معناه

---

(١) رواه البخارى .

والحكمة فى العمل بذل القليل وحصاد الكثير ومن فضل الحكمةأنها تحيى القلوب الميتة كما تحيا الأرض بالماء.

عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لقمان قال لابنه يا بنى عليك بمجالسة العلماء واسمع كلام الحكماء فإن الله ليحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر» رواه الطبرانى فى الكبير والترمذى بإسناد حسن. والفراسة هى المهارة فى معرفة بواطن الأمور من ظوهرها.

السر السابع

السعادة راحة البال

لأن السعادة تكون فى الإيمان والإيمان يكون فى القلب والقلب لا سلطان لاحد عليه إلا الله فإن المؤمن ترتفع لديه درجة الإيمان فترتفع معها درجة السعادة لأن نسبة السعادة علوها على قدر نسبة الإيمان فكلما ازداد المؤمن إيمانًا كلما ازداد سعادة وراحة بال وفطن نية.

الفصل الخامس

شروط الولى

إن كلمة ولى الله ليست مجرد كلمة سهلة أو صفة عابرة تتلفظ بها الألسنة وتتفوه بها الشفاه ولكن لها شروطها التى توجب مدلولها فإنها كلمة لا تقال لعبد من عباد الله إلا إذا قام بحقها وأدى شروطها وصبر على تحقيقها صبر العارفين بقدرها الموقنين بفضلها الساعين لنولها فإن للولى شروطاً بها تتحقق درجة الولاية كاملة ما فعلها عبد من عباد الله وقام بها إلا حُقَّ له أن ينال درجة الولاية وأن يحظى بها خالصة له ولأصبح بفضل الله ومِنَّتِه واحدٌ من أولياء الله وخاصته فى الأرض وهذه الشروط ليست كما يزعم المغالون فى الأولياءُ والصالحين والمُطْرِين لهم إطْرَاءً يصل بهم إلى الشرك والعياذُ بالله كما يقول بعضهم فى غلوه وإطرائه فى الصالحين مثلاً إن هذا الولى قد رُفِعَ عنه التكليف وإنه يُشْفِي المرضى ويُصِيبُ بالنقمة ويفعل ويفعل والحقيقة أنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا من محض نفسه لأنه ليس إلا عبداً مهما علت درجته ومنزلته عند الله فهو عاجز عن النفع والضر وعاجز عن القدرة على فعل الأشياء إلا بأذن الله لأنه واحد من الكل والكل فقير إلى الله فقير إلى قدرته فقير إلى عفوه فقير إلى كرمه وجوده وعطائه.

وإن كان المزعوم بالقدرة على النفع والضر والاطراء هذا ولياً حقاً فإنه قد نفع بولايته نفسه وقُبِضَ لثوابه قالوا جب الاقتداء به والتشبه بسيرته وحسن عبادته وإن كان غير ذلك سواء كان فاجراً أو مبتدعاً أو عاصياً فإن

المصيبة عظيمة والأمر خطير يحتاج إلى توبة نصوحة لكل من ذهب إليه وطلب منه رجاء دفع ضر أو جلب نفع.

ومنه قول بعضهم إن هذا الولى قد وصل إلى درجة أعُطى فيها مقاليد بعض الأمور فهو يتصرف فى بعض الكونيات كيف يشاء مثل ما يتصرف الله فهو يختار ويقدر بمشيئته و يشهد الله أن هذا افتراء وضلال مبيناً لان الله تعالى يقول: ﴿ **له مقاليد السموات الأرض** ﴾ وترى رجلاً بينهم لا يصلى ولا يصوم ولا يفعل شيئًا من أعمال الإسلام ورغم ذلك يقبلون يده و يهرعون إليه ويتبركون به فإذا سألتهم من هذا؟ ولماذا تفعلون هذا؟ لقالوا لك: إنه ولى من أولياء الله الصالحين ونحن نلتمس منه البركة فإذا قلت إنه لا يصلى ولا يصوم ولا يفعل من الإسلام شيئًا لست الاجابة فى قولهم إنه رجل قطب او يختلف عن الناس وانه وصل إلى درجة اليقين المذكورة فى كتاب الله ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ وهذا الولى قد وصل إلى علم اليقين فقد رفع عنه التكليف وعفى من مؤنة العبادة ونسى هؤلاء الصنف من الناس الملتبس عليهم أن الآية يقصد باليقين فيها (الموت) وضنوا أنها درجة عالية من القرب إلى الله والعبادة ثم إنه المقصود بها والمخاطب بها رسول الله ﷺ ورغم ذلك ظل يعبد ربه إلى أن فارق الدنياولم نسمع أنه توقف عن العبادة عند درجة معينة وقال لنا: اعبدوا أنتم فأنا قد وصلت وَصَلُّوا أنتم فإنى قد صليت ولم نسمع عن أحد من أصحابه من بعده فعل ذلك، ونسمع فى الولى والولاية كثيراً من القيل والقال وكثرة الجدال الذى ما أنزل الله به من سلطان.. ونحن بإذن الله تعالى فى هذا الفصل نرد على هؤلاء المتقولين المبتدعين ونرد على خرفاتهم وخزعبلاتهم بالحجة والدليل من الكتاب والسنة سائلين الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل منا هذا

الجهد اليسير وأن يجعله جهداً طيباً مباركاً وعلماً نافعاً وبلسماً شافياً للقلوب الجريحة والنفوس العليلة وأن يزيد به المؤمنين إيماناً على إيمانهم إنه سبحانه هو ولى ذلك و القادر عليه وحده.

ونذكر من هذه الشروط التى يجب أن تتوفر فى أولياء الله الصالحين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بعض الشروط المهمة والتى بدونها تسقط الولاية وتقدح فيها.

١- الإسلام

فلا ينبغى أن نقول نال درجة الولاية لله غير المسلم لأن الولاية هى موالة الله بالطاعات والقربات والتحبب إليه بالنوافل والفضائل وغير المسلم قد هدم وسد الطريق الموصل لذلك بعدم إسلامه وعدم إسلامه يقدح فى ولايته ويبعدها أصلاً لأنه فاقد للجوهر فكيف بالفرع ومن قال غير ذلك فقد افترى إثماً مبيناً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾. [آل عمران: ١٩]. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

٢- العقل

لأن الوصول إلى درجة ومنزلة الولاية عن طريق العلم والعمل لأنها درجة علم وعمل وغير العاقل ليس له حظ فى ذلك. فكيف يتعلم؟ وكيف يعمل؟ وقد تعطل لديه جهاز الاستقبال العلمى، العقل، وتعطل أيضاً لديه جهاز الإرسال العلمى والهدف والمقصد الباعث لذلك.

٣- الإيمان بشرطية التصديق والعمل.

لأن الإسلام فقط هو درجة عوام الناس ولكن الإيمان وما بعده لخواصهم عند الله عز وجل جعلنا منهم.

٤- الإخلاص بشروطه النية والعمل والتحقيق.

لأنه درجة ا لمتقين وعبادة المقربين وهو أعلى من درجة الإيمان.

٥- الإحسان

وهذه الدرجة هى درجة الصديقية ودرجة الصديقية هذه درجة صعبة المنال لا يؤتاها إلا من وفقه الله إليها من الأولياء العالمين العارفين المقربين من رب العالمين.

٦- التقوى

وهى الخوف من الله والعمل بكتابة والرضا بقضائه والاستعداد للقائه سبحانه ولأنها درجة أولى الألباب ﴿ **واتقون يا أولى الألباب** ﴾.

٧- التدرج بالنفس

من الشهوانية الامارة إلى الروحانية اللوامة ثم الملكية ثم الربانية المطمئنة.

٨- مؤاثرة حب الله ورسوله وطاعتهما على كل المحبوبات وكل الطاعات.

لأن فى ذلك النجاح والفلاح الدنيوى والأخرى بإذن الله تعالى

٩- يأتى ذلك كله خالصاً فى القلوب بالحقيقة بكثرة ذكر الموت والاستعداد له لأنه هو الواعظ والخطب الأفظع والكأس التى طعمها أكره وأبشع. ولأنه هو مكدر اللذات ومفرق الجماعات وقاطع الامنيات. ولأنه آت لا مفر منه وهو لا يقرع باباً ولا يهاب حجاباً ولا

يقبل بديلاً ولا ياخذ كفيلاً ولا يرحم صغيراً ولا يوقر كبيراً.

١٠- مجالسة العلماء والصالحين والبعد عن مجالسة الفجار الفاسقين لأنه فى مجالسة الصالحين زيادة الإيمان والترقى بالروح إلى عالم الروحانيات والإيمانيات ومجالسة الفجار والفاسقين تهبط عزمها وتشتت أمرها وتنفس القلوب فتجعلهاجامدة عند ذكر الله وتتعرض بها للنفاق من كثرة القيل والقال فى أمور الدنيا.

١١- الزهد فى الدنيا وعدم الحرص عليها وطلبها والسعى إليها ومؤاثرة ذلك على أوامر الله ورسوله ففى ذلك الندامة والحسرة لأن حب الدنيا رأس كل مصيبة ووراء كل ندامة و بريد كل مهلكة.

١٢- الحمد فى الضراء والشكر فى السراء لأنها صفة المؤمنين يقول النبى ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد غير المؤمن إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن أصابه سراء شكر فكان خيراً له»(١).

١٣- ذكر الله والفرار إليه.

إذا اقترف العبد ذنباً أو عاجل دنيا ليصيبها فَرَّ إلى ربه وذكره وتاب إليه وأناب فاستغفره من ذنبه وتململ إلى ربه رجاء عفوه ومغفرته قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٣٥]. وقوله تعالى: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**﴾ [الذاريات: ٥٠].

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الزهد والرقائق برقم «٢٩٩٩».

١٤- موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه

فيوالى المؤمن إخوانه المؤمنين وبعضهم أولياء بعض ويعادى أعداءه من المشركين والملحدين والشيوعين والمبتدعين وعلى رأسهم أعدى الأعداء إبليس وجنوده عليهم لعنة الله فلا يعطهم الفرصة سانحة للإغواء والصد.

١٥- تجنب سماع ما يكره المولى سبحانه ويكرهه رسوله من لهو الحديث.

من السماع الشيطانى كالغناء والمزمار والموسيقى فإن فى سماع ذلك كله فتنة القلب وصدوده ونفاقه وكذبه وضلاله أعاذنا الله.

١٦ - التواضع لله فى أرضه لعباده وعدم التكبر والتجبر.

١٧ - حب المساكين والدنو منهم ورفض وإنكار الطبقية والحزازية.

١٨ - القول بالحق والصدق ولو كان مراً.

١٩- ديمومة ذكر الله ففيها طمأنينة القلب ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

٢٠ - الصبر وتحمل المشقات فى سبيل المحبوب الأول سبحانه وتعالى وحب رسوله ﷺ.

فهذه بفضل الله شروط يجب أن تتوافر فى الولى من أولياء الله فبها تعلو درجته وتقوى من عزيمته ويتعرف بالحقيقة على مولاه سبحانه فإذا قام بهن كانت له كرامات، فإن لأولياء الله الصالحين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كرامات نذكرها.

الفصل السادس

كرامات الأولياء

إن الله تبارك وتعالى أكرم من جاد وأرحم من رحم وخير من ابْتُغِي إليه المقصد فإنه لا ينسى أولياءه فهو معهم حيث كانوا يحب أن يسمع دعاءهم ويرى بكاءهم ويسمع شكواهم إليه فى دجى الليالى فيكرم وإذا أكرم فإنه يكرم بالأعظم والأفضل فإن الولى له مع مولاه حال لم تكن مع غيره فتراه وهو يخاف الزلل ويتقى الفتن يقوم إلى مولاه ليلاً طويلاً ويصوم له كثيراً وتراه وكأنه معصوم من الذنوب والآثام فيتعجب الإنسان العادى لِماَ يراه من خُلق وحلم وصبر وجهد هذا الولى كيف يصبر على شهواته ويدفع عنه نزواته وكيف لا يَمَلُّ من طول السهر والقيام وحده وكيف لا يتعب من كثرة الصيام وهلم جرا. وكيف يجمع بين مكابدة الطاعات والعصمة من الذلات.

ولكن نسى السائل أن هناك سبب بل أسباب غالية عظيمة سَهَّرَتْ هذا الولى ليله وأحيت له قلبه وصومته تلك الأسباب نهاره وزادته إيماناً وحلماً وصبراً وجهداً وعملاً وإخلاصاً وهذه الأسباب هى ما يراه الولى من قبل مولاه من الكرامات فإنه كلما عرضت عليه كرامة زادته فى الله حباً وشوقاً وعلماً وعبادة فتابى عينيه النوم ويتجافى جنباه عن المضجع فيقوم لمولاه ذاكراً آياته شاكراً لانعمه مقدراً لهذه الكرامة التى حلت بوادى حاله مع مولاه.

وأن كل كرامة من هذه الكرامات لهى أحب إلى الولى من أولياء الله الصالحين من كنوز الدنياومن كل ملذاتها وشهواتهالأنها تجعله سعيداً حتى يغيب من شدة السعادة عن الوجود فيسبح طائراً بروحه فى عالم الإيمانيات والروحانيات فكيف ينسى أو يغفل عن الحبيب من عرف قدر الحبيب واطلع على عظمته وقدرته فى كل كرامة من كرامته التى مَنَّ بها على وليه هذا اللهم كيف؟ وأنشدوا يقولون.

إن الحمام ينوح من أثر النوى

وانا أنوح مخافة الديان

يا واحداً فى ملكه ما له ثان

يامن إذا قلت يا مولاى لبانى

أنسى فتذكرنى فى كل نائبة

فكيف أنساك يا من لست تنسانى

وأنشد آخر

أنا لما علمت بأن قلبى فارغ

ممن سواك ملأته بهداك

وملأت قلبى منك حتى لم أدع

منى مكاناً خالياً لسواك

فجعل الله تلك الكرامات لأوليائه شحذاً لعزمهم وطمانينة لقلوبهم

وتفريجًا عن نفوسهم وترويحا لهم عن مشاق الحياة وضيقها وعنتها وتعبها ونذكر من هذه الكرامات وهى على نوعين: كرامات فى الدنيا، وكرامات فى الآخرة. ونحن فى هذا الفصل نعنى كرامتهم الدنيوية، والأخروية فقد أخبرنا عنها المولى سبحانه فى كتابه قال تعالى: ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (٤٦) لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات ٤٠: ٤٩]. فهذه كرامات عظيمات فى الجنة. أما الكرامات فى الدنيا فنذكر منها: -

١- كرامة الحفظ

فكرامة الحفظ يكرم الله جل وعلا أولياءه وخاصة بكرامة الحفظ يحفظهم من الذلل والخطأ من كيد المكيدين ومن السوء كله، ويحفظهم حفظاً برعايتهم فيصنعهم على عينه قال تعالى لنبيه موسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] وقال أبو الطيب البخارى فى عون البارى «ومن شروط الولى يحفظه الله بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره ومن البطش فيما لا يحل له بيده ومن السعى إلى الباطل برجله فهو فى معية ربه» وذلك مصداقاً للحديث القدسى عن رب العزة «كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها» فطوبى لعبد كان فى حفاظة ربه فوالله إنه لمحفوظ ومجبور.

٢- كرامة النُصرة

كفى ولى الله كرامة وشرفًا وعزًا بأن الذى يتولى نُصرته والدفاع عنه والانتقام له ليس بشرًا مسببًا ولا غنيًا ولا قويًا ولا ملكًا ولا سلطانًا إنما الذى يتولى ذلك كله هو خالق هؤلاء جميعهم ومليكهم وربهم فهو سبحانه بنفسه يتولى نُصرة وليه والدفاع عنه والانتقام له وذلك لفضل الولى عند ربه وببركة حبه وقربه له جاء فى عون البارى فى قوله تعالى فى الحديث القدسى: «من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب» أى أعلنته أننى أنا المحارب له أى أعمل ما يعمله المحارب من الإيذاء ونحوه قال وفيه تهديد شديد فمن حاربه أهلكه وقال الفكهانى هو من المجاز البليغ لأن من كره من أحب الله خالف الله ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه وجاء فى حديث ميمونة «فقد استحل محاربتى» - فسبحان الله - انظر أى شقى هذا الذى أوقع بنفسه إلى محاربة ملك الملوك بل أوقع بها إلى شر مهلك بسبب تجرئه على الله فى وليه بمعاداته وأى سعيد هذا الذى تولاه الله بالرعاية والنصرة والحفاظ ودفع الكيد عنه فإن من كان هذا حاله مع الله فطوبى له فقد وصل إلى درجة القرب من الله وقوله سبحانه فى الحديث القدسى: «ولئن استعاذنى لأعيذنه» أى مما يخاف.

وجاء فى حديث أبى أمامة رواه الطبرانى والبيهقى فى الذهب «إذا استنصرنى نصرته».

٣ - كرامة إجابة الدعوة لقوله تعالى:

«ولئن سألنى لأعطينه» فإذا أولياء الله قد فازوا بكل خير ونالوا كل

قرب من الله سبحانه فإذا دعا الولى منهم ربه ومولاه فى ضُرٍ أو جلب نفعٍ أجابه ربه لذلك فى الحال وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة قالوا: بلى يا رسول الله قال: كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره» وفى هذا الحديث بيان بأن هؤلاء الصنف من الناس هم أهل الجنة وقد بدأ النبى ﷺ حديثه بألا وهى حرف استفتاح ليستدعى بها فهم وذهن المتلقى ويستدعى بها انتباهه وذلك للتشويق والترغيب الشديد لما فى الكلام من الخير والطاعة والامتثال له، والضعف المقصود به فى هذا الحديث ليس ضعف البدن وهزله ومرضه ولكن المقصود به التواضع ولين الجانب للآخرين لأن الحديث الآخر يقول فيه المصطفى ﷺ: «المؤمن القوى خيرٌ وأحبَ إلى الله من المؤمن الضعيف» وروى الحاكم فى مستدركه عن أنس – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «كم من ضعيف متضاعف ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن عاذب»(١)، وأن البراء لقى زحفًا من المشركين فقال له المسلمون أقسم على ربك فقال أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم فمنحهم أكتافهم ثم التقوا مرة أخرى فقالوا أقسم على ربك فقال أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم والحقنى بنبيك ﷺ فمنحهم أكتافهم وقُتَل البراء رضى الله عنه.

وهذه أمثلة أخرى لبعض أولياء الله الصالحين الذين مَنَّ الله عليهم بكرامة استجابة الدعاء ذلك من كتب الصحيح ذكر الإمام النووى وجاء فى رياض الصالحين.

عن جابر بن سمرة – رضى الله عنه – قال: شكى أهل الكوفة سعدًا

---

(١) أخرجه البخارى.

« يعنى ابن أبى وقاص » - رضى الله عنه - إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستعمل عليهم عماراً فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلى فأرسل إليه فقال يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى فقال: أما أنا والله فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أخرم عنها أصلى صلاة العشاء فاركد فى الأوليين وأخف فى الآخرتين قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق وأرسل معه رجلاً أو رجالاً دخل مسجداً لبنى عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة فقال: أما إذا أنشدتنا فإن سعداً ما يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية قال سعد أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن. وكان بعد ذلك إذا سُئل يقول شيخ كبير أصابتنى دعوة سعد قال عبد الملك بن عمير الراوى عن جابر بن سمرة فأنا رأيته بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجوارى فى الطرق فيغمزهن »(١) متفق عليه.

وعن عروة بن الزبير أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل -رضى الله عنه- خاصمته أروى بنت أوس إلى مروان بن الحكم وادعت أنه أخذ شيئًا من أرضها فقال: سعيد ما كنت آخذاً من أرضها بعد الذى سمعت من رسول الله ﷺ قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من أخذ شبراً من الأرض ظلمًا طوقه إلى سبع أراضين » فقال له مروان لا أسألك بينة بعد هذا قال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى أرضها قال فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينما

---

(١) أخرجه البخارى (٢/ ح ١٧٥٥ فى الفتح) ومسلم (ح/ ١٥٨ والنووى فى رياض الصالحين ص ٣٥/ ١٥١٣).

هى تمشى فى أرضها إذ وقعت فى حفرة فماتت » متفق عليه(١).

فانظر -يرحمك الله- إلى سرعة استجابة الله لدعوة الولى من أوليائه فالحديث قبل السابق يبين لنا كيف نصر عبده ووليه سعد بن أبى وقاص على المفترين عليه وأجاب دعوته فى أبى سعد الذى قام سمعة ورياء أمام الناس يشهد زوراً ويتكلم بالكذب والافتراء على ولى من أولياء الله فأطال الله عمره وأطال فقره وعرضه للفتن كما دعا عليه سعد بهؤلاء الثلاث.

والحديث السابق بين لنا أيضًا استجابة الله لدعوة وليه سعيد بن زيد فى أروى بنت أوس التى افترت عليه وادعت أنه أخذ جزءاً من أرضها ظلمًا وزوراً وكيف أن سعيداً دعا عليها بالعمى والموت فى أرضها فلما عميت بالفعل عرفت وأيقنت أنها ما عَميتْ إلا بسبب دعوة سعد واستجابة الله له لأنه على الحق وهى كاذبة عليه فكانت إذا سُئلت فى رواية أخرى لمسلم عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر أنه رآها عمياء تلتمس الجدُر إذا سئلت تقول أصابتنى دعوة سعيد، وتحقق الشرط الثانى من دعوته وهو الموت فى أرضها فقالوا إنها مرت على بئر فى الدار التى خاصمته فيها فوقعت فيه فكان قبرها « فهذه كرامة إجابة الدعوة لكل ولى من أولياء الله الصالحين مصداقًا لقوله: « ولئن سألنى لأُعطينه ».

٤ - كرامة الخوارق (خوارق العادات)

والخارقة هى: ما شذ عن العادة وذلك أيضًا مما لا يأباه العقل ولا الشرع، وتكون الخارقة من الخوارق للولى كرامة وليست معجزة لأن

---

(١) أخرجه البخارى (٦/ ح ١٩٨ فى الفتح)، ومسلم (ح ١٣٩)، واللفاله أحمد فى مسنده (٨٨: ١٩٠).

المعجزات انتهت بانتهاء النبوة وقد كانت فى عهد الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ، ولكن الكرامة ثابتة للولى فى الدنيا وفى الآخرة كما ذكرنا آنفًا ونحن الآن فى هذا المقام نعيش مع الولى فى كرامات الخوارق للعادات وهذه الخوارق تبين لهم أنهم على الصراط المستقيم وعلى الدرب القويم ونطقت لهم بلسان الحال تخبرهم عن مكانتهم من الله وحظهم من قربه وحبه ومرضاته ومع ذلك كله فهم لا يغترون بها ولا يفخرون على غيرهم ولا يتكبرون ولكن مازادتهم هذه الكرامات إلاعبادة لله وحبًا وشوقًا، ولعباده تواضعًا ولينًا ولأعدائه عداوة وحقدًا وبغضًا، ولأوليائه موالاة وحبا وإخوة.

وهذه الخوارق من الكرامات جزاءً بما صبروا لله مولاهم فى دفعهم عن أنفسهم الهوى وكبح جماح شهواتهم، ومن أعمال البر والخير والدعوة إلى الله تعالى فإن الله عز وجل يمن عليهم ببعض الخوارق ليطمئن قلوبهم بالإيمان والصبر على الطاعات كما قال الخليل إبراهيم لربه: ﴿ربى أرنى كيف تحيى الموتى﴾. طلب أن يريه مولاه خارقة من خوارق العادات له فقال له المولى: ﴿أو لم تؤمن﴾ كان سؤال إبراهيم لربه ليس سؤال عن شك منه فى ذلك ولكن كان استعظامًا لقدرته ولكى يطمئن قلبه وليعلم أن الله منه قريب وأنه عنه راض فقال له الله ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فطمئنة القلب فى طلب خارقة أو رؤيتها شيء ليس فيه تعدى ولا ملامة فرسولنا محمد ﷺ قال فى حديث: «إن هذه القلوب تمل فروحوا عنا ساعة وساعة

فقد يكرم الله وليه بأنه مثلاً يبصر ويسمع أشياءً لا يبصرها الناس ولايسمعونها مثل أنه قد يرى غائبًا أو يسمع بعيدًا أو يحدث بوقع أمر قبل حدوثه كما ذكرنا آنفًا وقد حدث مثل ذلك بالفعل فى عهد الرجال وعهد الإيمان والكرامات مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان قد أرسل بالجيش سارية وكان يخطب على المنبر فكشف الله له عن مسيرهم ورأى عدوهم قد جاء لهم من وراء الجبل فى كمين لقتلهم فلما رأى سارية الجيش والعدو يأتى من خلفهم دون علم أن يروهم فقال: يا سارية الجبل الجبل فسمعوا صوته فنظروا من خلفهم إلى الجبل فوجدوهم فقاتلوهم وهزموهم بإذن الله وقصوا ذلك بعد النصر بأنهم انتصروا بفضل الله وبأنهم سمعوا صوت عمر يقول يا سارية الجبل الجبل. فأدركوا عدوهم من خلفهم فهزموهم.

١ - خارقة الرزق بغير حساب.

فما من ولى عارف بالله تعالى واسترزقه عند ضيق رزقًا إلا ورزقه مولاه وذلك أمر قد ثبت فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة: أما فى القرآن الكريم فقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق: ٢] وقوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [آل عمران: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا** ﴾ [مريم: ٢٥-٢٦] فالله تعالى بمشيئته وقدرته البالغة يرزق من يشاء من أوليائه وخاصته الرزق بغير حساب ولا سيما رزق المأكل والمشرب أو رزق المحبة

والقرب . وممن مَنَّ الله عليهم بخارق الرزق بغير حساب خبيب بن عدى الصحابى الجليل وقد أُخِذَ أسيراً عن سرية بعثها رسول الله ﷺ فى عشرة رهط وكان معهم خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وكان أميرهم عاصم ابن ثابت الأنصارى حتى إذا كانوا بالهواة بين عسفان ومكة وقد نفر عليهم قريب من مائة رامٍ فاحتاطوهم وأسروهم ورفض عاصم أن ينزل على ذمة كافر منهم فقتلوه وقتلوا من معه وبقى خبيب وزيد بن الدثنه فباعوهم بمكة لأهل من قتلوا ببدر وكان خبيب قد قتل الحارث يوم بدر فباعوه لبنى الحارث فلبث خبيب عندهم أسيراً (مدة كان لا يأكل من طعامهم ولا يشرب من شرابهم، فلما أجمعوا على قتله استعار من بعض بنات الحارث موسًا ليستحد بها فأعارته فدرج بنى لها وهى غافلة حتى أتاه يعنى (دخل على خبيب) فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك قالت والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب فوالله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب فى يده وإنه لموثق بالحديث وما بمكة من ثمرة وكانت تقول أنه لرزق رزقه الله خبيبا فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه فى الحل قال لهم خبيب دعونى أصلى ركعتين: فتركوه فركع ركعتين فقال: فوالله لولا أن تحسبوا أن ما بى جزع لزدت اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدَداً ولا تبقى منهم أحداً وقال:

ولست أبالى حيث أقتل ملسمًا ... فى أى جنب كان في الله مصرعى

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع(١)

---

(١) رواه الإمام النووى فى الأربعين عن الدارقطنى.

فخارقة الرزق بغير حساب تأتى كما رأينا للمضطر والمتوكل على الله سبحانه لأن فى التوكل الرزق لقول النبى ﷺ عن عمر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصًا وتروح بطانًا[1] رواه الترمذى وقال حديث حسن وقال شارح النووى فى شرحه للحديث: «ومعناه تذهب أول النهار خماصًا أى ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطانًا أى ممتلئة البطون». ويقول الحق سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٢- خارقة المخرج من كل كرب وضيق بترتيب وتسبيب من الله سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] فلو أن المؤمن الولى من أولياء الله كاده كل شىء وكادته السماوات والأرض وضيقوا عليه كل تضييق ثم اتقى الله جعل الله له من كل ضيق مخرجًا فلو أدخلوه فى بطن الجبال أو ألقوه فى قاع البحار ولو وضع فوق السحاب أو حبسوه فى قمقم وغلوه بالأغلال وظنوا أنهم قادرين عليه واتق مولاه لجعل له من بعد كل هذا الكبد ومن بعد كل ذلك التضييق الفرج والعُلىَ الذى يجعل كل الخلائق تتعجب وتذهل له فسبحان الله القدير وذلك بدليل الآية السالف ذكرها.

---

(١) أخرجه الترمذى (٤/ح٢٣٤٤) وابن ماجه (٢ ح ٤١٦٤) والحاكم فى المستدرك (٤/٣١٨) فقال حديث حسن صحيح الاسناد.

٥- وأخيراً كرامة حسن الخاتمة.

وهى الموت على الإسلام وعلى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وهى أفضل كرامة وأغلى مِنَّة مَنَّ الله على ولي يمنها عليه بأن يحسن له خاتمته فيلهمه سبحانه فى أواخر عمره وقبل موته بالعمل الصالح الذى يقبضه عليه سواءً كان عمله جهاداً فى سبيل الله أو علماً أو يقبضه ساجداً أو راكعًا أو حاجًا أو معتمراً أو فاعلاً لنوع من أنواع البر الكثيرة.

أو يقبضه مشتاقًا هائمًا فى حب مولاه ولقائه وحسن مجيئه فليس على ظهر الأرض أسعد ولا أفرح ممن حسن الله له خاتمته وقبضه على عمل صالح لأن بها الفوز العظيم والنجاة من العذاب الأليم ومن نار الجحيم.

وإنه لأمقت شيء على العبد وأخطره وأقبحه وأتعسه أن يموت مفتوناً عن الإسلام عاصيًا لرب الأنام مخالفًا لأمره مضيعًا لشرعه ومخالفًا لسنة الحبيب محمد ﷺ ومضيعًا لسنته ومبتدعًا وظالمًا لنفسه والعياذ بالله فإن حسن الخاتمة هى الموت على الإسلام وهى أكرم شيء يتمناه ويطلبه ويرجوه من الله كل الأنبياء ومن بعدهم الصالحون الأولياء فإن شغلهم الشاغل هذه النقطة، وهى كيف يموتون وبماذا للقاء الحبيب يستعدون؟ وبماذا لمحبته وعظمته يقومون؟ فكلهم كانوا يطلبون الموت على الإسلام والتوحيد فقد أخبر المولى سبحانه فى كتابه أن الأنبياء عرفوا هذه الكرامة -الموت على الإسلام- فأخذوا يوصون بها ذرياتهم من بعدهم وأقوامهم فهذا خليل الله إبراهيم يوصى بها كما جاء فى القرآن قال تعالى على لسانه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا

﴿تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

فهذه هى أغلى وصية وصاها نبى الله وخليله إبراهيم لبنيه من بعده ألا يموتوا إلا على الإسلام لأنه كان يعلم علم اليقين أن الموت على الإسلام هو حسن الختام وهو أكرم شيء للعبد وأنفعه. ومن بعده وصى بها أيضًا يعقوب عليه السلام قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] ووصى الله بها عباده فقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وهى صبغة الله التى صبغ عباده عليها وفطرهم عليها ليس لهم سواها ولا يرضى لهم سواها وكلمة صبغة الله أى صار هذا الإيمان بالإله الواحد (الله) واعتناق الدين الحنيف لها ميزة حتى صارت كالصبغة فى الثوب وليس هناك أحد أحسن من الله صبغة أى دينًا قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨] وهذا نبى الله يوسف من بعدهم أيقن وعرف قدر هذه الكرامة - كرامة الموت على الإسلام وحسن الختام - فلم يَغْتر بنبوته ولم يغره حسنه وملكه ولا علمه وإنما كان يخاف على قلبه الفتنة، ولم يغره حسنه وملكه ولا علمه وإنما كان يخاف على قلبه الفتنة والتحول عن نعمة وكرامة حسن الختام فكان دأبه مطلبها والسعى إليها وكان يسأل ذلك ربه قال تعالى على لسانه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي

مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف : ١٠١] وكان دائمًا كثيرًا ما يسأل ربه ذلك وقد روى عن النبى ﷺ عن[١] معاذ -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »[٢] رواه مسلم وأنشد الصحابى الجليل خبيب بنى عدى يقول :

ولست أبالى حيث أقتل مسلمًا ... فى أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك وابو داود وقال صحيح الإسناد .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه .

obeikandl.com

خـــاتمـــــة

الحمد لله الذى تتم بنعمه الصالحات ولا يخفى عليه شيء من أمر العباد إله واحد فى ملكه واحد فى ذاته واحد فى أسمائه واحد فى صفاته واحد فى خلقه لا إله غيره سبحانه وتعالى علواً كبيراً.

عظيم فى خلقه عظيم فى ملكه عظيم فى قدرته عظيم فى تدبيره عظيم فى كل شأنه سبحانه لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ولا توارى عنه سماء اسماءاً ولا أرضُ « أرضًا ولا بحر ما فى قعره ولا جبلٍ ما فى وعره خلق الخلق بعلمه وقدر لهم أقداراً وضرب لهم أجالاً وعلم ما هم عاملون به قبل أن يخلقهم فأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شيء يجرى بتقديره ومشيئته ولا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن تباركت وتعاليت يا ربنا سبحانك لا نحصى ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك لا رادًا لقضائك ولا معقب لحكمك ولا إله غيرك.

ربى إنى أتوجه إليك أستغفرك وأتوب إليك أستغفرك على هذا الجهد المقصود به وجهك الكريم فإنك تحب أن تُسْتَغْفَر على كل شيء على الطاعة وعلى المعصية كما تحب أن تُحْمَد على كل شيء على السراء

والضرا فإنى أحمدك وأستغفرك، أحمدك على ما وفقتنى إليه فى إتمام هذا الكتاب وأستغفرك على تقصيرى فيه وفى نفسى فإنك ولى فى الدنيا والآخرة تعلم سرى وعلنى القادر علىَّ وأنت الآخذ بناصيتى وإليك منقلبى ومرجعى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠].

obeikandl.com

تم الكتاب

تم الكتـــاب وربنا مـــحـــمـــود ولـه المكارم والعـــلا والجـــود

وعلى النبى مـــحـــمـــد صلواته مـــا ناح قـــمـــرى وأورق

اللهم اغفر لى ولوالدى اللهم ارحمهما كما ربيانى صغيراً اللهم أطل فى أعمارهما وحَسِّن أعمالهما وحسن خواتيمهما واجعلنى وإياهما من ورثة جنة النعيم وورثة الفردوس الأعلى وامنن علينا بجوار الحبيب محمد ﷺ.

اللهم اغفر لى ولوالدى ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا وتقبل دعاء وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خلف محمد عبد الرحيم (الفيمى)

مركز الفتح قرية الفيما شارع الخلفاء محافظة أسيوط